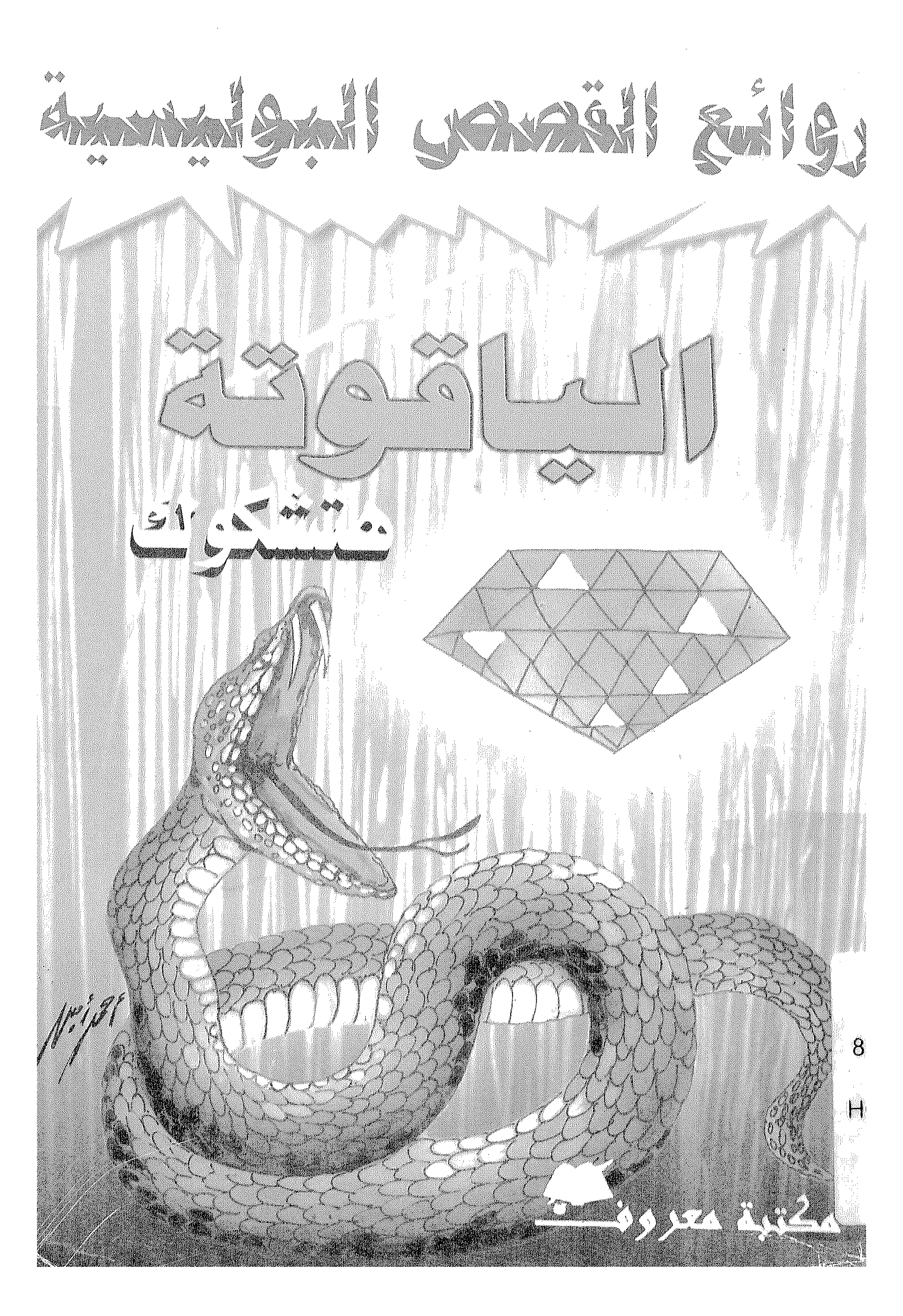

روائع القصص البوليسية
الياقوتة
هتشكوك
مكتبة معروف

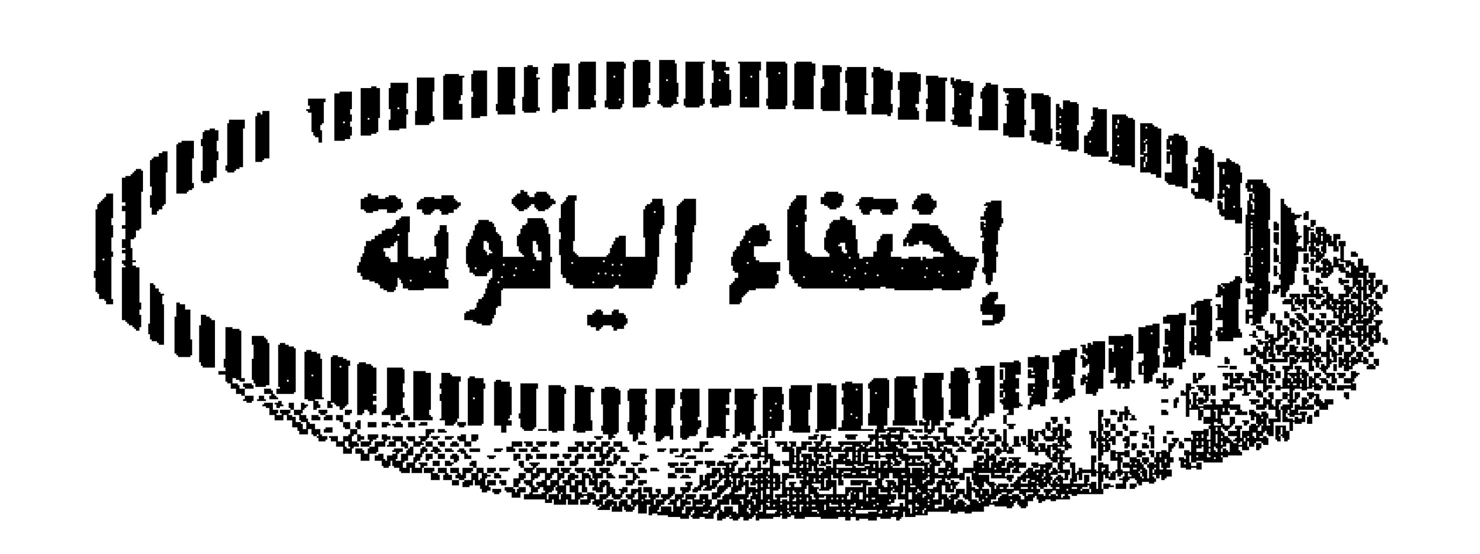
روائع القصص البوليسية

الياقوتة

ترجمة/ محمد عبد المنعم جلال



الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القـــاهرة: ٣٦١١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية



لانديس ولانديس ، المجبران السريان المشهوران هما نحن أيها السيد

نطقت لورى بهذه العبارة وهى تشير بيدها فى حركات بهلوانية. ودهشت وهى ترى رد الفعل الذى أحدثته فى كيزادا ، فقد خلع نظارته وهوى بيده على المنصة فى حماس ونظر إليها فاغرا فمه وهتف .

– آه . أنتما اللذان عثرتما على المجوهرات المسروقة من كاريس كارتر نجمة السينما .

نظر جيف إليه وقال :

– نعم نحن لانديس ولانديس اللذان سمعت عنهما ، ولكن كيف سمعت عنا ؟ .. وكيف عرفت بأمر مجوهرات كاريس كارتر ؟

أجاب كيزادا فى هدوء :

– أن لدينا جرائد فى بيونس ايرس ، ثم أن بعض المجوهرات المسروقة اشتريت من هذا المحل بالذات .

ثم رفع صوته وقال .

– ماريا .. اهبطي ياماريا .. ماريا هي زوجتي وشريكتي أيضاً .. سيسرها أن تلتقي بلانديس ولانديس .

أعاد نظارته فوق أنفه ونظر إلى لورى وقال :

– مخبرة سرية بمثل هذا الجمال !

ابتهجت لورى وقالت :

– أنا الدماغ المفكر .. وهو العضلات .. وأشارت بأصبعها إلى جيف ، وابتسم هذا مكشراً وكشف عن عضلاته ، كانا فى أجازة و كانا يستمتعان بها .

وهبطت ماريا كيزادا ، وهى امرأة قصيرة ذات عينين سوداوين . السلم الحلزونى قادمة من الطابق العلوى . وأعربت عن سرورها بلقاء لانديس ولانديس المشهورين ثم انسحبت فى هدوء ولكن بعد أن هنأتهما على استعادة مجوهرات مس كارتر غير أنها قالت تخاطب زوجها قبل أن تنسحب .

– لويس .. لماذا لا تطلب رأى هذا السيد وزوجته عما حدث الليلة الماضية .. لعلهما يستطيعان جلاء هذا السر .

قال جيف :

– أى لغز ؟

هز كيزادا كتفيه وقال .. اختفت ياقوتة .. وعرض على لورى حلية ذهبية أخرى وقال :

– وهذه عيار ٢٤ قيراط ذهب وثمنها ستمائة بيزوس فقط . خالصة الضريبة .قال جيف عابساً :

– خمسة وسبعون دولاراً لحلية في حجم حبة البازلاء !

اندفع كيزادا في الحديث ممتدحاً الصناعة المحلية والدقة المطلوبة في صنع مثل هذه الحلي الثمينة .. وراحت لوري تصغي إلى حديثه بعينين متألقين وأسرع جيف يقول :

– ماذا حدث لتلك الياقوتة التي اختفت ؟

قال كيزادا : أن أمرها لشديد الغموض ولكن مارأيك في هذه الحلية الأخرى يامسز لانديس ؟ .. إنها عبارة عن خنجر صغير دقيق الصنع وثمنها خمسمائة وعشرون بيزوس .

قال جيف :

خالصة الضريبة نعم .. ولكن ماالذي حدث لتلك الياقوتة ؟

قالت لوري تخاطب كيزادا

– تكلم ياسنيور كيزادا قل له ماذا حدث لها .. إن زوجها لن يهدأ له بال طالما لم تتكلم .. إنه حلال العقد ، بحكم المهنة والعادة . وسأفحص الحلية وأنت تتحدث .

قال كيزادا:

- لا إن المحل بقي مفتوحاً بعد الموعد العادي للغلق أمس وذلك لخدمة أعضاء رحلة سويير كنا نعرف أن الطائرة ستأتي بكم في نحو الخامسة .

هل تعرفان مسز تومبسون ؟

أومأ الاثنان بالإيجاب واستطرد كيزادا

– لقد أتت فى نحو التاسعة وكانت أول من دخل المحل بعد العشاء واشترت طاقماً من الزبرجد الجميل وقد فقدنا الياقوتة أثناء وجودها هنا .

قال جيف :

– لا أخالك تظن أنها هى التى أخذتها ؟ .. أنها شريفة وثرية ويمكنها أن تشترى كل ما تريد .

قال كيزادا فى أسى :

– أوه ، كلا ياسيدى .. أنك أسأت فهمى ، أننى لاأشتبه فى مسز تومبسون فأننى أعرف أنها لم تأخذ الياقوتة .

قالت لورى :

– تعرف ؟ .. وكيف ذلك ؟

ذلك أننا فتشناها .

– فتشتموها ؟

نطقت هى وزوجها بالكلمة فى وقت واحد وهما لايتصوران مسز تومبسون الجليلة الموقرة تخضع لهذا التفتيش .

وأسرع كيزادا يقول :

– بناء على طلبها طبعاً

وبسط يده مشيراً إلى أرجاء المحل وهو يقول

– من العسير أن تختفي ياقوتة هنا بالذات   فالغرفة مستديرة كما تريان وتغطيها السجاجيد حتى الجدران وليست بها أية أركان أو زوايا والسلم الحلزوني الذي هبطت منه زوجتي يمتد حتى الطابق السفلي والغرفة ذاتها عارية من كل شئ فيما عدا الفاترينات الزجاجية المعدة للعرض والمقاعد الجلدية التي أمامها .

وأردف يقول في حيرة تامة :

– وقد حدث الأمر واختفت الياقوتة في دقيقة واحدة

وتكر لهما التفاصيل ، فبينما كانت مسز تومبسون تشاهد عقد الزبرجد الذي قدمه لها أقبل رجل أرجنتيني يدعى أورتيجا وطلب شراء هدية لزوجته وأراد أن يرى مجموعة من الأحجار غير المركبة ، وأخرج أحد الموظفين اللذين يعملان بمحل كيزادا صينية صغيرة بها مجموعة من الأحجار من الفاترينة إلى حيث تقف السنيورا كيزادا التي تقدمت لخدمة سنيور أورتيجا ولكنه ماكاد يقترب منها حتى تعثرت قدمه فجأة ، وفيما هو يحاول أن يستعيد توازنه وقعت الصينية بما عليها على الأرض .

وتمتم الرجل معتذراً وأسرع يجثو على ركبتيه وأخذ يجمع الأحجار التي تناثرت وأسرعت السنيورا كيزادا من خلف المنصة لمساعدته   وترك السنيور كيزادا مسز تومبسون لحظة وانضم إليهما ، بل أن مسز تومبسون نفسها ماأن رأت ماقيمته نصف مليون من الدولارات من الأحجار الكريمة مبعثراً فوق السجادة حتى هبت من مقعدها وتطوعت هي الأخرى للمساعدة وبقي السنيور أورتيجا بعيداً عن هذا الهرج المحرج . وعندما اعتدل الموظف واقفاً على قدميه بعد أن أعيدت الأحجار إلى الصينية نهض

أورتيجا فى مقعده فى خفة ولكنه وقف فى هدوء وراح ينظر إلى الآخرين وكانوا لايزالون راكعين على ركبهم فوق السجادة .

وفى أقل من ثانية كانت الأحجار قد أعيدت إلى مكانها فيما عدا جوهرة واحدة اختفت .. وتحقق كيزادا عندئذ أنها ياقوتة كبيرة تزن عشرة قراريط زرقاء اللون تقدر قيمتها بثمانمائة ألف بيزوس .

وأجرى بحثاً وتفتيشاً دقيقين عقب ذلك ولكن بدون نتيجة .

وإذ رأى السنيور أورتيجا ذلك طلب من كيزادا أن يقوم بتفتيشه حتى لا ترقى إليه ذرة من الشك بعد انصرافه دون العثور على الياقوتة المختفية .

واعترض كيزادا ولكنه عندما رأى مسز تومبسون تضم صوتها إلى صوت أورتيجا وتطلب أن يفتشها هى الأخرى .

وقام أحد الموظفين بمساعدة كيزادا بتفتيش ملابس أرتيجا بكل دقة فى دورة المياة الخاصة بالرجال ، خلع أورتيجا ثيابه لهذا الغرض ولم يكن هناك أى أثر للياقوتة .

وقامت السنيورا كيزادا بتفتيش مسز تومبسون فى دورة مياة السيدات ، ولكن الياقوتة لم تظهر ، وانتهى بهم الأمر عند هذا الحد ، وغادر كل من أورتيجا ومسز تومبسون المحل بعد أن ترك كل منهما عنوانه لكيزادا .

واختتم كيزادا قصته قائلاً :

وهكذا .. اختفت الياقوتة .. لم نعثر عليها لا مع مسز تومبسون ولا مع سنيور أورتيجا ، وأنا أثق بموظفى ثقة مطلقة ، وماريا فوق الشبهات وأنا كذلك . ومع ذلك فقد وقعت الياقوتة على السجادة واختفت ، فما هو

تفسيرك ؟

قالت لورى :

– هذا سؤال وجيه

وقال جيف فى شئ من الأرتياح :

– بل هو سؤال مثير للحيرة .

دعنا نفكر فى هذا الأمر بعض الوقت ياسنيور كيزادا .. وسنخبرك إذا آهتدينا إلى شئ ما .

قال كيزادا :

– ألف شكر .. سأنتظر وكلى ثقة من أن لانديس ولانديس ستنجحان حيث أخفقت أنا .

وانحنى أمام لورى قائلاً :

– هل ألف لك هذه الحلية ؟

قالت لورى مبتسمة : بل أفضل أن ننتظر حتى نجلو ، أنا وزوجى ، هذا اللغز الكبير ياسنيور كيزادا .. من يدرى ، ربما تقدم لَنا تخفيضاً بسيطاً عندئذ .

وقال جيف وهما يهمان بالإنصراف :

– سنراك فيما بعد إذن .. ولكن اسمح لى بسؤال أولاً .. ألم يسفر بحثك في المحل عن شئ ما ؟

هز كيزادا كتفيه وقال :

– لاشئ .

ولكنه لم يلبث أن دس يده فى جيبه فجأة وأردف

– فيما عدا هذه ، وقد عثرنا عيها فوق السجادة

وناول جيف كرة صغيرة من الورق ، أخذها جيف وفحصها جيداً .. كانت عبارة عن ورقتين فارغتين من ذلك الورق الذى يستخدم فى لف أصابع اللبان الأمريكى .

★★★

عزما على تناول الطعام فى أحد المطاعم الكبرى ببيونس أيرس معروف باسم مطعم لاكابانا .. وجلسا أمام البار فى انتظار اعداد اللحم المشوى وأخذا يتناولان القضية بالحديث فقالت لورى وهى تبتسم ابتسامة صبيانية :

– لاأظن أننا سنستطيع جلاء سر هذا اللغز هذه المرة .

– ولماذا ؟

– لأن هناك أشياء كثيرة من المحتمل أن تكون وقعت لهذه الياقوتة . ربما وقعت فى طية بنطلون أحد الموظفين وربما مازالت بها حتى الآن ، فإن أحداً لم يفكر فى تفتيشهما .

– كلا .. ألم تلاحظى أن كلا من هذين الموظفين يرتدى بنطلوناً لاطية له .

– ربما وقعت فى طية بنطلون أورتيجا نفسه .

اعترض جيف قائلاً :

- أنهم فتشوه تفتيشاً دقيقاً ملابسه وشخصه.

قالت فى ازدراء

- شخصه . وماذا لو أنه ابتلعها

- هذا محال فهى كبيرة تزن عشرة قراريط ، وليس من السهل ابتلاعها بدون ماء

قالت

- لابد أن أحداً قد سرقها .. من الذى كان موجوداً فيما عدا كيزادا وموظفيه

أجاب جيف

- أورتيجا

- ولماذا أورتيجا بالذات ؟

- لأن كيزادا يثق فى موظفيه ثقة عمياء

قالت لورى

ومع ذلك فإن واحداً منهما أوقع الصينية من يديه .

- هذا صحيح .. ولكن دعينا نصدق كيزادا .. إذا كان يثق فى موظفيه هذه الثقة العمياء ، فإن الرجل يكون قد تعثر قضاء وقدراً ، ولهذا أقصيه عن الشبهة كما أقصى ماريا وكيزادا فإن الياقوتة ملكهما ولاأدرى لماذا يسرقانها ؟ .. بقى لدينا إذن الاحتمالان الآخران .. مسز تومبسون وأورتيجا

– مسز تومبسون ! .. هذا سخف .. أنها أمرأة معروفه وشريفة بحيث لا تفكر فى صبغ شعرها الأبيض .. ثم أنها ثرية بحيث تستطيع أن تشترى محل كيزادا بما فيه بنصيبها من أرباح الأسهم والسندات التى تملكها .

– إذا نحن أقصينا مسز تومبسون .. فمن يبقى ؟

– أورتيجا .

– ولهذا نشتبه فيه .. إذا كان هناك من سرق الياقوتة فهو أورتيجا من غير شك .

– هذا إذا كانت الياقوتة قد سرقت .

وماذا يمكن أن يكون قد حدث لها غير ذلك ؟ أن الياقوتة زرقاء وكان لابد أن تظهر فوق السجادة ، كما تظهر بقعة من الحبر الأزرق فوق كرة من الثلج .

– أظن أنك على حق .. ماكانت لتختفى هكذا إلا إذا كانت قد أمتدت إليها يد .

قال جيف وهو يضع لفافتى اللبان فوق المائدة :

هاتان الورقتان لا معنى لهما ، ومع ذلك فهما مفتاح اللغز ،

ولكن كيزادا قال أنهما نظفوا المحل فى الساعة السابعة فى الليلة الماضية ، أى أثناء ساعة العشاء .

– وكانت مسز تومبسون أول من أقبلت بعد ذلك . هل تمضغ اللبان ؟

– لم أسمع عنها ذلك .. ولكنها تدخن كثيراً .

قال جيف :

– لبان .. لبان ألا تفهمين لورى ؟ .. إنه مادة لزجة يمكن أن تلتقط الياقوتة من فوق الأرض ياعزيزتى.

ضحكت لورى وقالت :

– هل جننت ؟ .. لبان ! .. أن الذى التقط الياقوتة أنما التقطها بيديه .. لماذا يستخدم اللبان ؟

– لكى يخفيها عن العيان .. أن قطعة لبان بين كعب حذاء ونعله يمكن أن تلتقط أى شئ صغير ولو كان صلباً ، إذا داس صاحب الحذاء فوقه .

قالت لورى :

– سمعت أن بعض المخبرين السريين استخدموا هذه الطريقة ، ولكنها طريقة سخيفة .

تجاهل جيف اعتراضها وقال :

– وإذا صح ذلك وإذا كانت الياقوتة قد التقطت بقطعة اللبان ، فقد كان حريا أن يكتشف أمرها عند تفتيش أورتيجا وثيابه .

– أظن ذلك .

واستطرد جيف :

– ولكن فكرة اللبان تروق لى .. يمكننا أن نتحقق إذا كانوا قد عثروا على لبان أم لا .. معذرة لحظة .

ونهض واقفاً وغادر البار فجأة .

وعاد بعد خمس دقائق وقال .

– قال كيزادا أن موظفيه لايمضغان اللبان ولا يلوكه لا هو ولازوجته ثم أنهم لم يعثروا على أى لبان فى أى مكان من المحل ، ولا مع أورتيجا ولا مع مسز تومبسون ولا فى سلة المهملات .

قالت لوري:

– لاريب أن أورتيجا كان يلوكه عندما قاموا بتفتيشه .

هز جيف رأسه وأجاب : – كلا .. فقد أرغمه الحارس على أن يفتح فمه وأن يقول آه .. آه .

– لعله ابتلعها فى ذروة انفعاله .

– هذا بعيد الاحتمال .

افرغت لورى الجرعة الأخيرة من شرابها وقالت :

ولكن هل خطر لكيزادا أن يبحث عن اللبان تحت المقاعد وبجوار الفترينات ؟

أجاب جيف :

– لإنه ذهب وبحث هنا وهناك بناء على اقتراحى ولكنه لم يجد شيئاً .

قالت لورى :

– انتظر لحظة .. ماذا لو أن أحد الموظفين داس على قطعة اللبان بعد أن لفظها أورتيجا من فمه والتصقت بحذائه وعلقت بها الياقوتة من غير أن يدرى أثناء جمع الأحجار المتناثرة .. أطلب كيزادا وقل له أن الياقوتة

موجودة فى حذاء موظفيه أو فى حذائه هو بالذات

قال جيف

– لا أريد أن تصفيني بالغرور ، ولكنني فكرت في هذا الأمر بالذات ولم يجد كيزادا شيئاً

تنهدت لورى وقالت :

– هلم بنا نتناول الطعام قبل أن يبرد

وبعد أن فرغا من طعامهما عادا إلى الفندق لقيلولة صغيرة ، وهي عادة اكتسباها أثناء هذه الرحلة الأخيرة ، ولكن جيف لم ينم ، فقد ترك لورى مستلقاة فوق الفراش وأسرع للقاء مسز تومبسون ، وعاد بعد نصف ساعة وأيقظ زوجته ونقل إليها حديثه مع الأمريكية الثرية وقال أن هذه الأخيرة وصفت أورتيجا بأنه رجل طويل القامة وسيم الوجه به عرج خفيف جداً أنيق جداً فى هندامه ، وأنه رجل محترم ليس من ذلك النوع الذى يسرق المجوهرات

سألته لورى

– وماذا قالت عن التفتيش ؟

– قالت أن كيزادا قام به على أكمل وجه على الرغم من أنه رضى به على مضض

– حسناً هذا يدل على أنهم استعملوا الدقة فى تفتيش أورتيجا هو الآخر

– هو ذاك .. وكان جوابها التالى هو أنها لاتلوك اللبان ولم تلكه فى

حياتها .

قالت لورى :

– أورتيجا هو رجلنا إذن .

وقال جيف :

يبدو هذا .. وقد اتفق أن رفعت مسز تومبسون عينيها عن طاقم الزبرجد لمجرد لحظة فرأت أورتيجا يضع فى فمه خلسة أصبعاً من اللبان .

صاحت لورى :

– أوه .. أوه !

– وقد أفسد ذلك الانطباع الأول الذى أحدثته صورة أورتيجا فى ذهنها كرجل وقور محترم .

أوجزت لورى قائلة :

– أين وصلنا ؟ .. أورتيجا أخذ الياقوتة .. استخدم اللبان فى العملية بطريقة ما لكى تلتصق الياقوتة به .. ولكننى مازلت أتساءل أين أخفى قطعة اللبان والياقوتة أثناء التفتيش

وجلسا صامتين بضع لحظات .. وقال جيف أخيرا :

– هذا هو بيت القصيد

وتنهد وأردف :

– هلمى بنا نتمشى فى انفاق بيونس أيريس أنهم يقولون عنها خيراً كثيراً .. هلمى بنا قبل أن يتصل بنا كيزادا ويقول أنه وجد الياقوتة فى جيبه

وغادرا الفندق

قال جيف فيما بعد أن الاتفاق هى السبب في جلاء معضلة كيزادا في حين قالت لورى أن الأمر كان محض مصادفة

ومهما يكن فقد سطع الضوء فجأة وهما يخرجان من النفق فى محطة دياجونال نورث ، فقد اصطدم جيف برجل أعمى يشق طريقه عبر الممر وتمتم يقول

- انني آسف

ولكنه لم يلبث أن جمد فى مكانه ودفع لورى إلى الأمام .

وقالت لورى :

- احترس .

ثم أردفت تقول .

-ها أنت تسد الباب الآن .

ولكن جيف لم يكن مصغياً إليها فقد راح يحدق فى سبب الاصطدام وتابعته بعينيها وما كادت تفعل حتى فهمت هى الأخرى .. وتحولا معاً عائدين إلى داخل النفق يدفعهما نفس الحافز .

وقال جيف :

- إلى محل كيزادا .

وبعد عشر دقائق كان هذا الأخير يرد على أسئلتهما ، وقد بدأه جيف قائلاً

– تقول مسز تومبسون أن أورتيجا يعرج ، فهل هذا صحيح ؟

– نعم .

– وهل كان يحمل عصا تساعده على السير ؟

طبعاً ياسيد لانديس .

ابتسم جيف ولورى ، وقال الأول :

– أى نوع من العصى هى .. رقيقة أم غليظة ؟

– بل هى غليظة ومتينة .

– وماسمك طرفها الأسفل ؟ هل لاحظت ذلك ؟

– نحو سنتيمترين أو سنتيمتر ونصف .. لم أهتم بذلك .. ثم أنه كان فى طرفها غطاء من المطاط .

قال جيف فى أرتياح :

– حسناً .. والآن ، أرجو أن تفكر جيداً .. عندما قمتم بتفتيش أورتيجا فى دورة المياة فى الليلة الماضية ، هل أخذ عصاه معه ؟

أومأ كيزادا بالإيـجاب فقال جيف :

– حسن جداً .

– وأين كانت العصا عندما خلع ثيابه وخضع للتفتيش ؟

– أسندها إلى الجدار فى دورة المياه .

قالت لورى :

– ولم تفحصوها طبعاً بعد أن فرغتم من تفتيش أورتيجا ؟

– كلا ولماذا ؟ هل يمكن لعصا ملساء صلبة أن تخفي ياقوتة وزنها عشرة قراريط ؟

أجاب جيف وهو يبتسم .

– نعم ، يمكنها ذلك .

راح كيزادا ينقل بصره بينهما في حيرة ثم قال :

– ماشأن العصا باختفاء الياقوتة ؟.

أجابه جيف :

–إنه استخدمها ثلاث مرات في الليلة الماضية

مرة ليوقع بها الموظف الذي يحمل الصينية ، ومرة ليلتقط الياقوتة دون أن يتحرك من مكانه والمرة الأخيرة لإخفاء الياقوتة عن العيان

قال كيزادا .

– أنني لاأفهم.

ولكن عينيه ومضتا خلف نظارته واستطرد جيف

– كان أورتيجا يلوك قطعة من اللبان بعد أن دخل محلك في الليلة الماضية .. وقد أقدم على الغلطة الوحيدة بأن ألقى غلاف إصبع اللبان على أرضية المحل بعيداً عنه .

وجلس أمام مكتبه واضعاً عصاه بين ساقيه قبضتها إلى الأرض .. وعندما ذهب ليأتي بصينية المجوهرات نزع أورتيجا الغطاء المطاط من

طرف العصا وأخرج قطعة اللبان من فمه وألصقها فى طرف العصا ، وكان قد أحدث فيه تجويفاً صغيراً من قبل لهذا الغرض .

فتح كيزادا فمه لينطق ولكن لورى سبقته قائلة :

– ولم يكن فى وسع زوجتك أن تراه ، وهى فى مكانها ، وهو يفعل ذلك ، فلم تكن تنظر إليه بالذات ، وكذلك لم يكن أى أحد آخر ينظر إليه بعد أن تعمد أن يوقع الموظف بعصاه .. وعندما وقف أخيراً بجوار المقعد ، بينما كان الجميع يجمعون الأحجار التى تناثرت وضع أورتيجا عصاه على إحداهما وضغط عليها فالتصقت بقطعة اللبان واختفت فى التجويف .. واتفق أن كانت تلك الجوهرة هى الياقوتة الزرقاء .. وعندما جلس ثانية وساد الهدوء ووقفتم جميعاً تحملقون فى موضع الياقوتة أعاد أورتيجا الغطاء المطاط إلى عصاه دون أن يفطن أحد إلى ذلك .. وهكذا انتهى الأمر واختفت الياقوتة وأسند العصا إلى الجدار وخضع للتفتيش بناء على طلبه وهو آمن مطمئن .

كان كيزادا يصغى وهو فى دهشة من أمره ، وعندما فرغت لورى من حديثها خلع نظارته وهوى بقبضة يده فوق المنصة وهو يصيح :

– مرحى .. مرحى .. حقاً أنكما لمخبران بارعان .

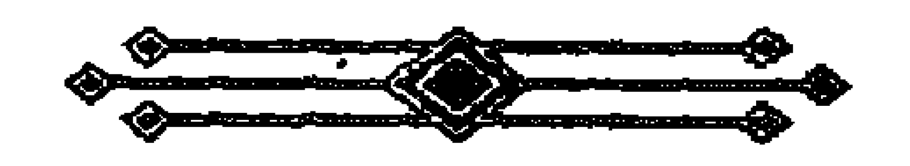
بعد خمسة عشر دقيقة كان أفراد رحلة سودير يتأهبون لمغادرة الفندق إلى المطار لرحلة العودة عندما جئ بطرد صغير إلى غرفة لانديس ولانديس .

وكان جيف ولورى يحزمان حقائبهما ففتح جيف الطرد فإذا فيه رسالة

صغيرة ومعها لفافة أخرى من الورق المعد للهدايا وكان هذا نص الرسالة

" منذ ساعة ، وبناء على طلبى ، ذهب رجال البوليس إلى العنوان الذى تركه أورتيجا لى وفحصوا عصاه .. ووجدوا الياقوتة مازالت بها كما قلت أنت تماماً ، تحت الغطاء المطاط ولم يكن هناك مكان أفضل من هذا لإخفائها فيه .. وأنا وماريا نحيى لاندريس ولاندريس ونرجو ، نيابة عن شركة التأمين أن تقبل زوجتك الحلية المرفقة لكى تزين بها أسورتها بتخفيض قدره ١٠٠٪ من ثمنها الأصلى .. وداعاً

لويس كيزادا





بيت الأشباح

فرغت من الموسم الماضي كله دون أن تصادفني أية متاعب وذلك حتى الليلة الأخيرة منه ، أو بوجه أصح حتى اللحظة الأخيرة حيث وجدت نفسي غارقاً في لجة من المتاعب تكفي لكي تملأ كل دقيقة منه ويتبقى مايكفي لملء موسمين آخرين .

أنني أشرف على لعبة من ألاعيب الحظ في الممر الرئيسي لاكبر مدينة للملاهي بميدويست ، والعمل الذي أقوم به بسيط أباشره بنفسي في كشك خشبي طوله ، متران ، به طاولة أمامية أضع فوقها العجلة . وخلف الطاولة في الصدارة بضعة رفوف رصصت عليها كل أنواع السلع وأجهزة الراديو والأشياء الأخرى البراقة وبأوراق من الكريب لأجعله يمتاز على غيره من الأكشاك .. واللعبة التي أشرف عليها ليست معقدة ، فلدى العجلة التي ذكرتها ، وبها واحد وعشرون رقماً ، وهي أشبه بعجلة الروليت مع اختلاف بسيط ، وهي أنها رأسية ، يختار منها اللاعب رقماً بخمسة وعشرين سنتاً ، فإذا توقفت العجلة عليه يحصل على تذكرة .. وبثلاث تذاكر يصبح له الحق في اختيار السلعة التي تروق له من فوق الرفوف .

وأنا الذي أشرف علي العجلة طبعاً ، ولا أقوم بهذا العمل لأن صحتي

تستدعي ذلك أو لأى سبب اخر من الأسباب ، ولكننى رجل شريف أمين مع عملائى أشترى الجوائز بسعر الجملة . وكل ماأنشده هو أن أربح دولاراً أو دولارين عن كل سلعة أوزعها

وهذا العمل بالذات يبدو لى كأنه نوع من التجارة ، وأغلب الناس يخرجون دولاراً ، وبعد أن تدور العجلة أربع دورات لايربحون أكثر من تذكرة واحدة فيؤثرون الانصراف ، وعندئذ أهديهم قلماً جافاً أو قرطاً وبهذا أكون قد حققت ربحاً قدره ٨٥ سنتا .. ولكن إذا رأى أحدهم أن يحصل على جائزة ذات قيمة أكبر ، فسرعان مايخرج نقوده وسرعان ماأحصل أنا عليها ، وفى هذه الحالة أتركه يزودنى بنقوده إلى أن أربح دولارين أو ثلاثة ثم أترك العجلة تخرج له تذكرته الثالثة ، فيحصل على جهاز الراديو أو على السلعة التى يريدها، وبهذا تعود عليه بأقل قليلاً مما لو يشتريها من أى محل آخر ، وأربح أنا دولارين أو ثلاثة ويشعر كل منا بالرضا والارتياح

وكما ترون ، وكما سبق أن قلت .

هى تجارة رابحة بعيدة عن التعقيد ، ولاتصادفنى أية متاعب فى العادة ويمتد الموسم أربعة شهور من مايو حتى سبتمبر ، ثم أقضى بقية العام فى بحبوحة بما حققته من ربح أثناء تلك الشهور الأربعة .. وكشكى يقع فى بقعة ممتازة بالممر الرئيسى بجوار متحف الأشباح بالذات ، وبهذا التقط العملاء عند خروجهم من المتحف وهم مازالوا مأخوذين مرتاعين مما شاهدوه داخل البيت من أشباح وعناكب كبيرة تبرز لهم فجأة من جدران البيت ولا يضرهم عندئذ أن يروحوا عن أنفسهم بلعبة من ألاعيب الحظ .

ومدينة الملاهى تغلق أبوابها فى منتصف الليل .. وكانت الساعة تقترب

من العاشرة فى آخر ليلة عندما أقبل هؤلاء الفتية إلى منصتى . كانوا صغار السن ولكنهم كانوا ناضجين يلبسون أحذية طويلة مز تلك التى يلبسها راكبوا الدراجات البخارية وسترات جلدية ، كانوا من هؤلاء الفتية الذين لا يترددون عن شئ فى سبيل الحصول على مايريدون . وكانوا يبدون شديدى الخبث تحت الضوء الأصفر الذى ينبعث من سقف الكشك .

وبدأت بدعابتى المنمقة على الفور ، فراح الجميع يلعبون وتركت واحداً منهم يربح تذكرة فى أول دور ، ثم مر الدور الثانى والثالث ، وفى الدور الرابع تركت شاباً آخر يربح تذكرة بدوره ثم مرت أربعة أدوار أخرى تعمدت فيها أن يخسر كل منهم .. وبعد ذلك أعطيت الفتى الثالث تذكرته الأولى ، وبهذا ربح كل منهم تذكرة .. وقد حرصت على أن أعطى كلا منهم تذكرة يختلف لونها عن تذكرة غيره بحيث لايستطيعون الحصول على جائزة قبل أن أحقق الربح الذى أريد .. وطفقوا يخرجون نقودهم ، واستمررت أنا فى إدارة العجلة ، وفى خلال الأدوار الثمانية التى تلت أعطيت واحداً منهم فقط تذكرة ثانية .. واللعبة تجرى بسرعة مذهلة بحيث لم تكن قد انقضت أكثر من خمس دقائق على قدومهم حتى جمعت منهم اثنى عشر دولاراً .

وانصرف اثنان منهم عن اللعب أخيراً ، فأعطيت كلا منهما قلماً جافاً .. ولكن الثالث كان عنيداً وقرر أن لاينصرف إلا بعد أن يحصل على جهاز راديو .. وكان أكبرهم سناً وأسوأهم طبعاً .

وكان يحتدم غيظاً وحنقاً كلما خسر .. وزاد فى غيظه وحنقه أنه هو الذى حصل قبل ذلك على التذكرتين وراح يبذل كل جهده للحصول على التذكرة الثالثة .. وبدأ يلعب بدولار واحد فى كل دور ويختار أربعة أرقام كل مرة

ورحت احتسب في ذهني المبالغ التي دفعها .. كان لابد له من انفاق خمسة عشر دولاراً أخرى لكي يستحق جهاز الراديو الذي يريده .

ومضى يلقي دولاراته فوق المنصة ، ورحت أنا أدير العجلة مدبراً أمري حتى لاتتوقف على أي رقم من أرقامه . "

وبعد أن أنفق عشرة دولارات كان قد جن حقاً لفرط الغضب الذي استولى عليه . وكان قد أفلس في نفس الوقت .. وراح يفتش جيوبه بحثاً عن نقود .. ولكنني . ولكنني أدركت مما ارتسم في عينيه أنه أنفق كل ماكان معه

وفيما هو يقلب جيوبه رأيت شيئاً آخر .. رأيت مدية كبيرة من تلك التي يطوى سلاحها بواسطة زنبرك

واقترب من المنصة أخيراً ودفع فكه نحوي وقال مهدداً وهو يشير إلى أجهزة الراديو .

– أنني أريد واحداً من هذه .

فقلت وأنا ابتسم متملقاً

– طبعاً ياصاحبي . بضعة دولارات أخرى ويبتسم لك الحظ .. أنني واثق من ذلك .

قال متذمراً :

– لم يعد معي نقود .. إنك سلبتني كل ماأملك .

قلت :

- أنني أسف ياصاحبي   إذا كنت تريد ذلك الجهاز فلابد من الاستمرار في اللعب .. اقترض من زميلك بضعة دولارات

وحاولت أن أشجعه فقلت كما لو كنت أقضي له سراً

- إن الرقم ١٨ سيخرج بعد ثلاث أو أربع مرات .

وقلت أحدث نفسي :

- بعد أن ينفق خمسة دولارات أخرى أستطيع أن أعطيه الراديو وأن أتخلص منه في شئ من الارتياح .. ولكنه لم يصغ إلى وقال :

- إنني لاأحب الاقتراض من أحد .. إنك سلبتني كل مامعي أيها المحتال أعطني الراديو الآن وإلا دخلت وأخذته بنفسي

أصررت على رأيي ومددت يدي لكي أتناول الهراوه التي أضعها دائماً تحت المنصة ، ونظرت إلى الفتى وتملكني الخوف بعض الشئ ، فقد رأيت مما ارتسم على وجهه ، أنه يعني مايقول .. وقال وهو يتقدم نحو المنصة :

- إنني لا أهزل .

ودس يده في جيبه .. وتذكرت على الفور المدية التي سبق أن رأيتها فأمسكت بهراوتي عالياً لكي يستطيع أن يراها ، وقلت وأنا أحاول أن أبدو أشد منه غلظة وقسوة :

- ابق مكانك .. لاداعي لاثارة الشغب وإلا أصابك مالاتحمدعقباه .. إن المكان هنا يعج بالشرطة ، ويكفي أن أرفع صوتي فيخف إلى خمسون منهم ويهبطون عليك كالصاعقة قبل أن تدري مايقع لك

- من الخير أن لاتفعل يافرانكي   لايمكن أن نواجه أية مشاكل الآن .

لاتنس أننا تحت المراقبة بسبب معركة تلك العصابة

وما أن سمعت قوله هذا حتى تذكرت تلك المشاجرة التي قرأت نبأها منذ بضعة أسابيع والتى دارت بين فريقين من الفتيان وقتل فيها صبى واقتلعت عين آخر ، وتساءلت عما إذا لم يكن هؤلاء الفتية الثلاثة من بين هذين الفريقين .. كان هذا مايبدو من غير شك ولم يكن ليغير شيئاً على كل حال .. وكان الفتى المدعو فرانكى لايزال يحدق فى بعينين تقدحان شرراً وهو لايزال محتفظاً بإحدى يديه في جيبه . ويبدو كما لو كان يريد أن يمزقني إرباً

وقال يخاطب زميله :

- لعلك على حق .

ولكنه حرر ذراعه من قبضة الفتى الآخر ثم اعتدل فى وقفته وأخرج مديته وفتحها فى بطء وعمد لكى أراها .. وبسط ذراعه الآخر إلى الأمام ومسح سلاح المدية فى كم جاكتته وهو يقول

- سأمنحك فرصة أخرى لكى تعطينى الراديو فما قولك ؟

القيت نظرة أمامي فرأيت شرطيين يأتيان نحونا وهما يتسكعان فالتفت عندئذ إلى الوغد الصغير وقلت له :

-لن أحصل على شئ ياصاح

ضاقت عينا فرانكى وأغلق مديته ودسها في جيبه فقد رأى الشرطيين بدوره ، ولكن لم ترق قسماته ولم يبد فى عينيه مايدل على الخوف وقال فى رفق :

-حسناً .. سوف أراك فيما بعد .

واستدار وابتعد وتبعه زميلاه .. ورأيتهم يتقدمون فى أحد ممرات المدينة إلى أن اختلطوا بالناس .. وعندئذ أعدت الهراوة مكانها تحت المنصة .. ومر الشرطيان بى فأومأت برأسى ، وردا على ايماءتى بحركة من أيديهما .

وبقيت مكانى دقيقتين أنظر إلى القوم دون أن أحاول استمالة أحد ثم جلست ودخنت سيجارة .

ولم يأتنى عملاء كثيرون بعد انصراف الأوغاد الثلاثة ، فبدأت أجمع حاجياتى الشخصية لأننى كنت قد بعت رصيدى من بضاعتي لرجل ماض إلى الجنوب برفقة سيرك يعمل به .. ورحت أحزم السلع الباقية من أجله

وأقبلت كورين بعد الحادية عشرة بقليل ، وهى فتاة سمراء هيفاء قوية الجسم عركتها الحياة وعرفتها بحلوها ومرها وحيتنى قائلة

- كيف حالك ياسام؟

- لابأس بى ياحلوة .. وأنت ، هل كل شئ على مايرام؟

هزت كتفيها ودارت بالمنصة وقالت وهى تجلس على أحد المقاعد

- لابأس .. ماذا تنوى أن تفعل بعد أن تغلق المحل الليلة .

- لاأدرى .. لماذا ؟

- ستذهب بعض الفتيات إلى مشرب رولو فهل تنضم إلينا ؟

ومشرب "رولو" يقع فى مدخل مدينة الملاهى ويختلف إليه عدد كبير من الرواد فى آخر ليلة من كل موسم عادة .ولكننى كنت لأكف عن التفكير فى

الأوغاد الثلاثة طول الوقت وفى نظرة فرانكى فقلت :

- لاأظن ذلك ياحلوة .. إننى ماض إلى الجنوب فى ساعة مبكرة من صباح الغد وأريد أن أصيب قليلاً من النوم .

وكنت قد ربحت تسعة آلاف دولار أثناء الموسم ، وكان فى نيتى أن أذهب وأقضى بضعة شهور على ساحل ميامى أنعم بحياة هادئة هنية .. وكنت كلما فكرت فى هؤلاء الفتية أحسست بالرغبة فى الرحيل عقب أغلاق المحل مباشرة فقلت :

- أشكرك على كل حال ياكورين .. سأراك فى العام المقبل .

وعندما انصرفت أطفأت نور لافتتى وحزمت ماتبقى من السلع .. وقبل منتصف الليل بقليل بدأت الأنوار القوية تنطفئ ، وخيم الظلام شيئاً ما على الممر الرئيسى .. ومضى آخر الرواد نحو الأبواب ، ونظرت حولى كما لو كنت أتوقع أن يندفع شئ نحوى ويطوقنى .. لقد أفلح هؤلاء الفتية حقاً فى أخافتى .

وأقبل الرجل الذى ابتاع معداتى .. وكانت لديه سيارة نقل خفيفة تقف بجوار محله ، ولم يستطع أن يأتى بها بجوار كشكى لأن المشرفين على المدينة كانوا قد فكوا العجلة الحديدية .. وكانت هذه الأخيرة تعترض الطريق .. وساعدته فى نقل الصناديق إلى سيارته وبعد خمس دورات كنت قد نقلت كل شئ ونقدنى الثمن .

وصافح كل منا الآخر وعدت إلى محلى لكى أغلقه للمرة الأخيرة .

كان الممر الرئيسى مظلماً ومقفراً .. ولم أكف عن النظر حولى عند كل

خطوة متوجساً .. وكنت أحرص على المشى بعيداً عن الظلال والمحال المغلقة .. لم أكن مطمئناً فقد رحت أفكر فى نظرة فرانكى التى تقدح شرراً وفى كلماته الأخيرة لى .. " سوف أراك فيما بعد "

وبلغت الكشك بأسرع مايمكن وأخذت حقيبتى الصغيرة المصنوعة من القماش وأغلقت المحل .. وزيادة فى الأطمئنان رأيت أن أنصرف عن طريق الباب الجانبى .

وكنت فى منتصف الطريق عندما رأيت شبحاً يبرز من الظلام ويتقدم نحوى فى بطء .. فجمدت فى مكانى وقد شلت الدهشة تفكيرى بحيث لم أفكر فى الهرب .. واقترب الشبح منى حتى وقف أمامى تماماً .. وأضاء مصباحاً كهربياً فى يده لم أكد أرى ضوءه حتى تنهدت فى ارتياح وابتسمت فقد رأيت أمامى فريتز ، حارس المدينة الليلى بوجهه الملوح الذى تعلوه الغضون .. قال :

– أهذا أنت ياسام ؟ .. لقد انتهى الموسم أليس كذلك ؟

أجبته وأنا أخرج منديلى وأجفف وجهى

–نعم يافريتز .. وكيف حالك ؟

قال :

– لابأس .. إن الباب العمومى مغلق ويبدو لى أنك آخر المنصرفين.

– آه ! فيما عداك أنت .

– حسناً .. سأقوم بدورة أخيرة فى الممر الرئيسى ثم أخرج من الباب الجانبى ، وتظل المدينة مغلقة بعد ذلك طوال الشتاء

قلت وأنا أربت بيدى على كتفه

– إلى اللقاء إذن يافريتز

ثم انصرفت .. وعندما اقتربت من الباب الجانبى القيت نظرة إلى الخلف فرأيت مصباح فريتز الكهربى يعكس ضوءه بعيداً عن الممر الرئيسى .

وفتحت الباب الحديدى الضخم ودلفت إلى الخارج ، وكان الشارع الجانبى مقفراً يسطع به نور خافت يكاد لا يبدد ظلمته .

وبينما كنت أتحول لكى أغلق الباب سمعت الصوت الحقود يقول :

– كيف الحال أيها النصاب ؟

استدرت على الفور لكى أجد نفسى وجهاً لوجه أمام فرانكى .. كان يقف على بعد نحو مترين وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة صارمة .

بدأت أتقهقر وأرتد نحو الباب ولكن ذراعين قويتين أمسكتا بى من الخلف .. وسمعت عندئذ ضحكة فرانكى .

وكانت ضحكة خافتة تنطق بالشر والقسوة والوحشية ، وتقدم نحوى في بطء .

لم أعد خائفاً الآن فحسب ، بل كنت مذعوراً ، فإن هؤلاء الأوغاد كانوا لايهزلون ، وادركت أنه لابد لى من أن أدافع عن نفسى .

ولا أدرى مالذى جعلنى أقدم على ماأقدمت عليه ولكن لعلها الغريزة .. وحب البقاء .. فقد ألفيت نفسى أقاتل قتال المستميت ، فما ن دنا فرانكى منى لطمته بشدة فى بطنه ثم أرتددت بكل قواى ودفعت الفتى الذى خلفى نحو الباب وسمعت رأسه ترتطم بالباب وأحسست بذراعيه تتراخيان ..

وبقيت مكانى لحظة وأنا أشعر بالفخر مما أقدمت عليه ، ولكن سرعان ما أصابنى شئ فى جانب صدغى فرأيت النجوم تتراقص أمام عينى . وفكرت فى شئ من الغموض فى الفتى الثالث وأنا أقع على الأرض وأرتطم بالاسفلت فى عنف .. كنت قد نسيت الفتى الثالث .

وبقيت طريحاً فوق الأرض أحاول أن أركز بصرى وذهنى عندما أصابتنى ضربة قوية من قدم أحد الفتية فى جبينى .. وصرخت وبدأت أبتعد وأنا أزحف بأسرع مايمكن ثم وقفت بقدر ماأستطعت .

ولكن اندفع اثنان من الثلاثة نحوى عندئذ .. وكان فرانكى واحداً منهما ، وكان ممسكاً بمديته وقد شهرها فى يده .. أما الفتى الآخر فكان هو الذى لطمنى على وجهى بقبضة نحاسية كان يمسكها فى يده ، وكانت تبرق تحت الضوء الخافت .

كنت فى موقف يائس .. كنت أقف الآن فى ناحية من الباب وكانوا هم يقفون فى الناحية الأخرى .. وكان الباب مايزال مفتوحاً وأخذت نسمة من الهواء ثم رحت أجرى كالمجنون نحو الباب

وبلغته قبل الفتى ذى القبضة النحاسية بنحو ست بوصات واجتزت عتبة الباب بوثبة واحدة ودفعت الباب خلفى وأنا أرجو أن ينقفل دونهما ولكنه بدلاً من ذلك أصاب الفتى الأول فى وجهه وأوقعه أرضاً ثم انفتح ثانية

ووقفت لحظة بما يكفى لكى أرى فرانكى ينحنى ويساعد الفتى على الوقوف .. وفى هذه الأثناء كان الفتى الثالث قد وقف بدوره .. وتجاوزوا جميعاً الباب فاستدرت ورحت أجرى كالمجنون من جديد فى الممر الرئيسى المظلم ، وسمعت وقع أقدامهم وهى تجرى خلفى

رحت أجرى حتى خيل لى أن رئتى توشكان على الا نفجار وتدلى لساني خارج فمي .. كان على أن أقف أو أن أقع على الأرض .. وتغلغلت في الظلام واعتمدت بظهرى على أحد المحال والتقت يدى بورق من الكريب فرفعت رأسي على الفور .. كان المحل محلى أنا بالذات فهل تراني أخطأت؟ ألقيت نظرة حولي كان بيت الأشباح خلفي مباشرة ..حسناً كان المحل محلى أنا فعلاً

واستدرت نحو بيت الأشباح .. بدا منظره غريباً .. جعله ضوء القمر يبدو غريباً .. ولكنه لم يكن كذلك .. كان هناك شئ آخر .. ونظرت إليه مرة أخرى محاولاً أن أتحقق ، ولم البث أن أدركت السبب .. الأبواب ! .. الأبواب هى التى كانت تبدو غريبة المنظر ، فانها كانت أثناء الموسم حمراء وبيضاء وصفراء .. وهى نفس ألوان الكونفال الفاقعة .. أما الآن فكانت رمادية سمراء .. وكذلك كانت النوافذ .

وتذكرت عندئذ .. كانت أبواباً معدنية ركبت بمناسبة فصل الشتاء ، وكانت للنوافذ مصاريع معدنية هى الأخرى ، وقد تذكرت أننى رأيت أحد الملاحظين يركبها فوق النوافذ من الخارج قبل أن أفتح محلى فى صباح اليوم ، وهذه المصاريع المعدنية تنطبق بشكل عجيب مع النوافذ والأبواب الأصلية وتقفل من الخارج بأقفال لولبية وليس من الداخل .

من الخارج وليس من الداخل .

وارتسمت فى ذهنى خطة جهنمية ، فجثوت على ركبتى ورددت البصر حولى وأرهفت السمع لم يكن باستطاعتى أن أرى فرانكى وزميليه ولكن كان باستطاعتى أن أسمع وقع أقدامهم .. كانوا قد توقفوا عن الجرى

وأخذوا يتنقلون بسرعة من مكان إلى آخر وهم يبحثون عنى ، وقدرت أنهم يبعدون عنى بنحو مائة قدم .

قلت فى نفسى أننى استطيع أن أنفذ خطتى ، شريطة أن أسرع

استدرت وزحفت على أربع نحو بيت الأشباح .

كان الأسفلت لاذعاً عند ركبتى ولكننى استمررت فى التقدم على الرغم من ذلك ، ورحت أتحرك بسرعة وهدوء بقدر المستطاع .. وبلغت واجهة بيت الأشباح أخيراً ، وتوقفت لحظة وأرهفت السمع مرة أخرى .. كان وقع الأقدام يقترب فأستأنفت زحفى بأسرع مايمكن .

وتجاوزت الباب العمومى وأخذت أتقدم نحو زاوية البيت ودرت بجانبه الآخر .. ومابلغت أول نافذة حتى توقفت وأنا ملتصق بالجدار ، ومددت يدى وسحبت المزلاج ببطء وفتحت المصراعين المعدنيين ثم مددت يدى نحو النافذة فى رفق وأنا أبتهل إلى الله ، واستجابت النافذة إلى وانفتحت على مصراعيها .. وعندئذ تنفست الصعداء

تركت النافذة مفتوحة وكذلك المصراعين المعدنيين وأخذت أزحف من جديد نحو واجهة البيت ، وحالفنى الحظ وبلغت الباب وتمنيت أن يكون غير موصد هو الآخر ، معللا النفس بأنه ليس هناك أى سبب لكى يكون كذلك ، وأن الملاحظين إذا كانوا قد أكتفوا باغلاق النافذة فحسب فلماذا يفعلون غير ذلك بالباب ولماذا يوصدونه أو يوصدون النوافذ مادامت المدينة نفسها محاطة بسور وارتفاعه أكثر من ثلاثة أمتار يسرى فوقه تيار كهربى ليمنع الفضوليين من تسلقه . كنت متأكداً كل التأكيد من أننى لن أجد الباب موصداً ولكننى رحت أرتعش لمجرد فكرة أن يخيب ظنى

وعدت إلى الواجهة وإلى الباب العمومي ووقفت أرهف السمع من جديد ..
كانت وقع أقدام فرانكي وزميليه عالية جداً بحيث أدركت أنهم أصبحوا قريبين مني جداً .

وسحبت المزاليج الأربعة من الباب المعدني وأنا لا أبالي بما قد يصدر من صوت فلم يعد لذلك أهمية الآن .. فقد كانوا على مقربة مني بحيث لم يكن يتسنى لي الافلات منهم أبداً .. لن يتسنى لي الأفلات مالم أتمكن من فتح الباب .

وفتحت الباب الحديدي في عنف فانبعث منه صوت قوي في جوف الصمت ، وأرهفت السمع لحظة وسرعان ماسمعت وقع الأقدام تنقطع لحظة ثم راحت تجري نحوي فاستدرت وحاولت فتح الباب الداخلي .

وانفتح الباب وبدأت أتنفس من جديد .

دخلت ركضاً ورحت أبحث عن طريقي متحسساً الجدار في الظلام التام وكنت قد دخلت بيت الأشباح قبل ذلك مرة أو مرتين وحاولت أن أتذكر وضع الأماكن .

كنت أعرف أنني موجود الآن في الغرفة الأولى ، والنافذة التي فتحتها لابد أن تكون أول نافذة في الجدار القادم .. الجدار الجانبي .

وأخذت أتقدم بوصة بوصة وقدماً حتى بلغت الزاوية ، وعندئذ سمعتهم عند الباب العمومي .

جمدت في مكاني ، واستطعت أن أميز هيئاتهم في اطار الباب .. كانوا يقفون بغير حراك ، وكنت أعلم أنهم ينتظرون أقل حركة مني .. ولم تكن

النافذة تبعد عني بأكثر من مترين وحاولت أن أتقدم خطوة أخرى ولكن خشب الأرضية أصدر صريراً فجمدت مكاني للمرة الثانية

وتصببت عرقاً وقلت فى نفسى أننى ربما زججت بنفسى فى مأزق

تحرك أحد الأشخاص الواقفين بالباب ودلف إلى الداخل وابتلعه الظلام .. واستطعت أن أسمعه وهو يتحسس طريقه متلمساً الجدار بيديه فى حين راحت قدماه تدوى فى الغرفة فى صوت مسموع

وخفق قلبى بشدة .. وأدرت رأسى نحو النافذة المفتوحة محاولاً أن أقدر المسافة التى تقع بينى وبينها ، وأنا أتساءل إذا كنت أستطيع أن أقطعها فى خطوتين أوثلاث خطوات سريعة .

واستدرت نحو الباب العمومي وأنا أرمش بعينى محاولاً أن أعرف إذا كانت المسافة التى تفصلنى عنهم أقل من تلك التى بينى وبين النافذة

ثم سمعت الفتى الذى دخل يتحرك مرة أخرى ، وبدا لى بصورة صغيرة أنه أصبح قريباً منى وتوقعت أن تمتد يداه مابين لحظة وأخرى وأن تطوق عنقى ، وأحسست فجأة وفى يأس كبير بأننى لن أتمكن من ذلك ، لأن الفتى الذى بداخل الغرفة لن يلبث أن يندفع نحوى بمجرد أن أخطو خطوة واحدة فإننى ما أكاد أبلغ النافذة حتى يلحق بى ، ولن أستطيع المرور منها عندئذ بأية طريقة.. آه لو أنهم تحولوا فقط إلى الناحية الآخرى من الغرفة ومضوا إليها !

وعندئذ خطرت لى فكرة تدل على العبقرية فخلعت حزامي ولففته بحيث جعلته أشبه بالكرة ثم حبست أنفاسى ورفعته فوق رأسى وطوحت به فى

خفة فى آخر الغرفة . وخيل لى أنه مضت عشرون دقيقة كاملة قبل أن يقع على الأرض ثم ارتطم بها فى صوت بدا كأنه خطوة خرقاء واستجمت قواى وتأهبت للعمل

واختفى الهيكلان اللذان يقفان بعتبة الباب ودلفا إلى الداخل وسمعت الفتى الذى سبقهما يندفع نحو المكان الذى سقط بقية الحزام

تحركت بدورى عندئذ فتركت مكانى وأسرعت إلى النافذة غير مبال بما قد يصدر منى من صوت متأكداً أن أصواتهم ستغطيه .ووثبت من فوق النافذة إلى الناحية الأخرى

ووقفت فى الشارع لحظة أصغى لما يحدث فى الداخل ثم تركت النافذة مفتوحة وأغلقت المصراعين المعدنيين وثبت المزاليج اللولبية على الفور وتأكدت من أنها أصبحت محكمة الأغلاق ثم تحولت ومضيت مسرعاً نحو الباب العمومى .

واستولى على الخوف والفزع عندئذ وتملكنى توتر شديد .. ورحت ألهث وأرتجف من أعلا رأسى إلى أخمص قدمى . كان جنبى ، حيث ركلنى ذلك الفتى يؤلمنى

وجف ريقى وتورم لسانى ودمعت عيناى فجأة .. وأخذت أجرى كما لو كنت مخموراً ، وتعثرت قدماى مرتين وأوشكت أن أقع على ركبتى الموجعتين .. وبدت لى المسافة من النافذة حتى الباب العام طويلة لا تريد أن تنتهى ، وأثناء ذلك الوقت كله كانت هناك فكرة واحدة تلح على وتصرخ فى أعماقى .. الباب أجر أجر .. أجر

وبلغت زاوية البيت وأسرعت نحو الواجهة .. وتعثرت قدماى من جديد ولكننى أستندت إلى الجدار حتى لاأقع وأخذت أسب وأبكى فى أعماقى ، واستمررت فى تقدمى حتى بلغت الباب

واستطعت أن أسمع همساً فى الداخل فدفعت الباب الحديدى الثقيل إلى الأمام واستجاب لى محدثاً صوتاً قوياً ازدادت له خفقات قلبى .

وبعد لحظة صمت سمعت من الداخل وقع أقدام تجرى نحوى مسرعة كما سمعت سبة أطلقها فرانكى ، وعندئذ اعتمدت بظهرى على الباب وجمعت كل قواى ودفعته .

وكانت هذه الدفعة القوية كفيلة بأن تغلق الباب نهائياً ، ولكن برزت فى اللحظة الأخيرة ذراع وسمعت عندئذ صوت كسر حاد جعلنى أشعر بالغثيان .. ومن الداخل انبعثت صرخة تدل على الألم الشديد .. وأعتمدت بظهرى على الباب ، وفى ضوء القمر الشاحب رأيت القبضة التى برزت خارج الباب تتقلص وتتوتر ثم تفتحت أصابعها وتصلبت ثم لم تلبث أن ارتخت وفى نفس الوقت سمعت شيئاً يرتطم بالأرض بجوار قدمى .. كانت هى المدية .

ونظرت إليها فى غباء .. كان واضحاً أن اليد كانت ملكاً لفرانكى وخففت ضغطى على الباب شيئاً ما فهوى الذراع إلى الداخل .. وأغلقت الباب تماماً عندئذ وأحكمت .. أغلاقه واعتمدت بظهرى عليه وأنا أضع المزاليج اللولبية مكانها .. وهوت على الباب من الداخل قبضات قوية ولكن لم يكن لها أى جدوى .. فقد أدخلت المزلاج الرابع مكانه ، وبهذا أحكمت أغلاق الباب كل الإحكام .

وسمعتهم يصرخون وأنا أبتعد فى بطء .. ومررت بمحلى السابق وأخذت

أتقدم في الممر الرئيسي المظلم وقبل أن أذهب بعيداً توقفت قليلاً لكي استريح واصغى

لم أعد أستطيع سماعهم ، وأدركت السبب فقد كانت الأبواب الحديدية سميكة بحيث لايمكن أن يقترب منها أي صوت

ومضيت إلى الباب الجانبي من جديد .. وفي طريقي استطعت أن أرى مصباح العجوز فريتز وهو يلقي بأشعته هنا وهناك .. كانت مساحة مدينة الملاهي نحو أربعة كيلو مترات ، وكان فريتز لايزال يبعد عن الباب الجانبي بنحو خمسمائة متر .. ولكنني لم أنتظره وإنما التقطت حقيبتي حيث وقعت مني وخرجت من المدينة وفي آخر الشارع دخلت كشكاً للتليفون .. وبحثت عن قطعة من ذات العشرة سنتات ووضعتها في الثقب وأدرت رقم الترانك وقلت مخاطباً العاملة بمجرد أن ردت على

– أعطيني البوليس من فضلك

وسمعتها تعالج أجهزتها لكي توصلني بالبوليس .

وكان وجهي ينبض بالألم فرفعت يدي إليه وتحسسته بأصبعي في رفق فآلمني وكان متورماً تكسوه طبقة من الدم المتجمد .. ثم تحسست جنبي حيث ركلني ذلك الفتى .. وعندما لمست المكان كدت أصرخ لفرط الألم

وخيل لي أن أضلاعي لابد أن تكون قد انكسرت . كنت موجعاً ، ارتعش وأكاد أصرخ من الألم .

وكانوا ثلاثة من الأوغاد الصغار الأحداث الفاسدين اللذين لايصلحون لأي شئ .. أوغاد وأنذال .

وبعد ، سيأتى رجال البوليس ويطلقون سراحهم سيرجون بهم فى السجن بضعة أيام ثم يضطر أحد القضاة إلى أخلاء سبيلهم لأنهم مازالوا صغاراً لم يبلغوا سن الرشد بعد . إنهم مازالوا صبية ، أليس كذلك ؟ مراهقون ؟

هززت رأسى فى بطء كلا ليس هذه المرة . وليس هؤلاء الثلاثة .. لا .. لا .. لن يطلق سراحهم إذا كان ذلك فى أستطاعتى .

أعدت السماعة مكانها واستردت قطعة النقود وغادرت كشك التليفون وحدثت نفسى وأنا أبتعد خلال الطريق " سيكون شتاء قاسياً وبارداً وطويلاً فى بيت الأشباح أيها الفتية "





رحلة العودة

قطعت رحلة السبعمائة والخمسين كيلو متراً حتى مدينة رينو لكى أسمع ذلك العجل يقول لى إننى لا أستطيع أن أفرغ حمولتى .. وكان الترمومتر فى الخارج يقترب من الدرجة الأربعين ، وكنت قد أوقفت سيارتى بجوار الرصيف وعليها حمولة من عجلات الروليت وموائد الميسر .. وكانت رائحة الطلاء تنبعث من البهو الفسيح الذى كانوا يعدونه لنشاطه المقبل .. ولم يكن جهاز التكييف قد زكب بعد ، فمسحت جبينى بطرف كمى ثم تحولت إلى الرجل ذى الفك البارز الجالس أمام المكتب الوحيد بالبهو العارى وخاطبته فى لهجة جافة

- مستر ويرث أن الوقت ، فى مهنتى ، من مال .. وأنت تحتجز سيارتى إنك طلبت هذه المنقولات ، وقد أرسلها إليك محل لوس أنجلوس ولهذا أرجوك أن تجد لها مكانا لكى أضعها فيه .

رمقنى مستر ويرث فى عناية كبيرة ، كالمرابى الذى يقيم فريسة محتملة ، ولمعت قطرات من العرق تحت شعره المفروق ، ولكن أصابعه التى كانت تداعب قلماً ذهبياً من أقلام الحبر كانت هادئة وثابتة .. وأتى بحركة من

ذراعه لكي يريني المكان المقفر حوله وقال

– أننا لم نستعد بعد لوضع الموائد والعجلات .. لابد من تركيب السجاد أولاً و .. قاطعته أقول على عجل :

– ولكنك كنت مستعداً منذ بضع دقائق .. ما أن أقبلت حتى أصدرت أوامرك لنقل المنقولات في ركن من البهو ، ولكنك غيرت رأيك فجأة ، فلماذا ؟

قال في هدوء :

– سوف أعوضك عن الوقت الضائع .. أضف هذا إلى الفاتورة .. إننا لانستطيع تفريغ حمولتك قبل أن نستعد .. ربما غداً .

واضطجع في مقعده إلى الخلف ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كما لو كان يحاول استرضائي .. ورددت البصر حولي محنقاً .. كانت اللافتة مكتوبة بحروف كبيرة على الواجهة الزجاجية للمكان "ملهى جيك ويرث "

وكانت المعدات والتجهيزات الموجودة تدل على أن جيوب ويرث هذا عامرة بالذهب ، فقد كانت جدران القاعة مكسوة من الناحيتين بالمرايا بصورة تستريح إليها النفس ، وعلقت فوقها لوحات جميلة من تلك اللوحات التي يندر أن يراها المرء .. وحتى سائق سيارة النقل كان في مقدوره أن يرى أنها لوحات رسمتها يد رسام قدير .. وفيما عدا المكتب والمقعد الذي يجلس ويرث عليه فقد كانت الأرض عارية .. ومن الباب المبطن بالجلد يمتد سلك طويل للتليفون حتى المكان الذي سيثبت فيه المكتب بعد أن يفرغ العمال من عملهم .. وكان يقف بجوار الباب ، معتمداً بظهره على المرآة ،

رجل قصير أسود الشعر ، يرتدى بدلة من التويد ويبدو عليه القلق

وتحولت إلى ويرث وقمت بمحاولة أخيرة فقلت

– ليس الأمر بمثل هذه السهولة لا أستطيع البقاء فى رينو حتى تفرغ من عملك أن العمل الذى أقوم به عمل أضافى ، وقد غادرت لوس انجلوس يوم السبت ، ويجب أن أعود إليها يوم الأحد لكى أستأنف عملى العادى صباح يوم الأثنين .. ومن هذا ترى أنه لابد أن أعود الليلة

– ستبقى المنقولات حيث هى الآن .

وأطبق فكه فى حركة جافة .. واعتدل الرجل الذى بجوار الباب فى وقفته وابتعد عن الحائط .. وابتسم ويرث ونهض واقفاً .. وبدا كأن هذه الحركة قد اقتضت منه جهداً كبيراً .. كان أنيقاً جداً يتوقد صحة وعافية .

وكان الدبوس الذى يعلقه فى ربطة عنقه مزيناً بحدوة حصان من الماس ومركبة فى قاعدة من الأبنوس .. وعلى الخاتم الذى يلبسه فى أصبعه نفس الحلية ولكن بصورة مصغرة .. وكان شعره قصيراً يعنى بتمشيطه عناية كبيرة . وحاول أن يستظرف معى، ولكنه لم يفلح لأننى لاأحب الذين يحتجزون سيارتى ، ولاأستريح للرجال الذين يغيرون رأيهم كثيراً .

تظاهر ويرث أنه يقرأ الاسم المكتوب على باب سيارتى وقال :

– شركة مات برادى للنقل ، أليس كذلك ؟ .. حسناً يامات .. تجمل بالصبر والهدوء صحيح أننى طلبت هذه المنقولات ، ولكنى لا أستطيع استلامها اليوم . ويجب أن أدفع نظير ذلك .. هذه هى القاعدة .

ودار بالمقعد وألقى يده على كتفى وقال :

- ربما سمحنا لك أن ترحل غداً صباحاً

قلت .

- إن التأخير فى مهنتي له ثمنه .

ولم أبتسم، فلم أشأ أن يتصور أنه يستطيع أن يتخلص منى بابتسامة وبولارين فى الساعة وأردفت أقول :

- وليكن معلوماً أن أجر الفندق وثمن الوجبات سيضافان إلى الفاتورة .

- طبعاً .. هذا أمر معروف .. سأخصم كل هذا من حصة العم سام أما الوجبات فأنني أدعوك لتناول الغذاء الآن على الفور لكي أثبت لك حسن نواياى .

ولكن يجب أن أتكلم في التليفون أولاً .. أريد أن يأتى الرجال أولاً لتركيب السجاد ، ثم نمضي بعد ذلك .. هذا تصرف سليم ، أليس كذلك ؟

لم يكن بوسعى أن أفعل شيئاً .. ومضى ويرث إلى غرفة أخرى لكى يتكلم فى التليفون .. وبدأت أتساءل ماعيب التليفون الموضوع فوق المكتب .. وأنا لست طفلاً .. لماذا لايريد أن أستمع إلي مايقول لشركة تركيب السجاد ونظرت إلى التليفون ثم إلى الرجل القصير القامة ذى البدلة التويد ثم رفعت كم قميصى وتظاهرت بأننى أنظر إلى ساعتى ، وسألته وأنا أرفع سماعة التليفون :

- ماهو الرقم الذى يجب أن أطلبه لكى أسمع الساعة الناطقة ؟

أخرج من جيبه ساعة ثمينة وقال وهو ينظر إلى فى برود

- الساعة الثانية عشرة تماماً

قلت وأنا أعيد السماعة مكانها

-شكراً لك

ولكننى كنت قدسمعت ذلك الصوت المميز الذى يدل على وجود الحرارة كان هذا التليفون سليماً لاعيب فيه

وتناولنا طعام الغذاء فى ملهى " سلفركنج " وهو عبارة عن افراط كبير من الكروم والمرايا المتعددة الألوان ، صفت بينها المجموعة العادية من موائد الميسر وعجلات الروليت والآلات النقدية المعدة للقمار .. وجلست أنا وجيك ويرث أمام المبسط وكنت قد فرغت من تناول شطيرتى عندما لاحظت الشقراء الصغيرة التى توزع الورق ورأيتها تنظر إلى .ورددت لها نظرتها وطلب ويرث قطيراً لى وله ، وبينما كنت أقضم قضمة اختلست النظر إلى الشقراء وأنا أتساءل إذا لم يكن من الأفضل أن أجرب حظى فى لعب الورق

وغمزنى جيل بعينه وأشار إليها برأسه وهويقول :

أنها ظريفة أليس كذلك ؟

لم أجبه ، فإن صوتاً فى داخلى أهاب بى أن أكون على حذر .. وأنا لست دميماً طبعاً ، ولكن الشئ المؤكد هو أننى لم أكن من ذلك النوع الذى تفتتن به النساء .. كنت أحاول دائماً أن أبدو واضحاً وجلياً ، وأن المهنة هى التى تحتم ذلك وفيما يتعلق بى فاننى كنت أرتدى فى ذلك اليوم قميصاً أخضر وبنطلوناً منسجماً معه ، وأحرص دائم على نظافتهما .. ولكن لابد من مواجهة الأمور ، ومهما يكن فهذه ثياب العمل ، ثم أن شارة السائق المعلقة فى مقدمة قبعتى تعلن أننى شخصية هامة ، وإذا أرادت امرأة أن تخرج

للصيد ، فإن الدبوس الماسي الذي يعلقه جارى خير دليل على أنه أكثر منى ثراء وأعز جاهاً .

ولكننى عندما ألقيت نظرة إلى شعر ويرث المفروق وجسده البدين قلت لنفسى أن الشقراء ربما تحب الايرلنديين .. وبدأت أمهد الطريق لكى أجد عذراً أبرر به مغادرتى للمبسط ، لأن تلك الشقراء التى توزع الورق ، ونظرتها إلى كان فيها شئ غير عادى .. كانت زرقاء العينين ، وبوجهها نمش بسيط وتبدو جميلة فى سن الزهور ، وكان زى المحل الذى تلبسه من الساتان كانت تضفى عليه بهاء وجمالاً .. وعندما فرغ الدور جمعت الفيشات الخاسرة واستعادت الورق بحركة واحدة فى رفق .. وألقيت دولارين فوق المائدة للدور الثانى .. وعندما أخذت الورق فى يدى رفعت زاوية الورقة العليا ورأيت رجلاً فوضعتها جانباً ونظرت إلى الورقة التى تحتها فإذا بها آس .. وهكذا كسبت الدور لأول وهلة .. وقلبت الورقتين فقالت :

- بداية جميلة .

نطقت بهذه العبارة بغير اكتراث .. ودفعت نحوى ثلاثة دولارات نقداً .. وخيل لى فى هذه اللحظة أيضاً أن نظرتها إلى تقول أكثر مما يستدعيه واجبها المهنى .

وقلت وأنا ابتسم :

- عظيم ! ليت حظى هذا يستمر .

وماحدث لى أثناء اللعب كان يجب أن يحدث لى طبعاً أكثر من مرة ، ولكن لعلنى ماكنت لأستطيع أن أصمد وقتاً طويلاً ، لأن هذه اللعبة تثير

الأعصاب إلى حد كبير خصوصاً إذا جاءت النتيجة مشابهة ، حتى إذا حدث عكس ماتتوقعه فى العادة .. وقد أدركت ذلك بعد أن مرت عشرون دقيقة منذ أن جلست أمام المائدة .

وقد لعبت الورق كثيراً وأنا فى الجيش ، والمرء يسجل فى ذهنه الأوراق التى تمر بين يديه عادة .. وقد استمرت اللعبة ، والشقراء تغمز لى من وقت لآخر ، كما فعلت فى البداية ، ثم أعطتنى آسين وضعت كلا منهما فوق ورقة من الورقتين اللتين أمامى .. كانت الورقة الأولى بنتاً ، وعندما رفعت زاوية الورقة الثانية رأيت أنها العشرة الديناري .

ولكن العشرة الديناري بالذات كان أحد اللاعبين الجالسين حول المائدة قد ألقاها منذ قليل .. ونظرت إلى الورقة من جديد لكى أتأكد أننى لم أخطئ ثم ألقيت نظرة إلى اللاعبين الآخرين .. ولم يكن بينهم من يهتم بى وإذ رأيت ذلك جازفت بالقاء نظرة طويلة إلى الشقراء ، فخفضت جفنها الأيسر بضعة مليمترات وبقيت هكذا لحظة .. نصف غمزة .. رسالة صادقة أرادت أن تقول لى بواسطتها أنها فى صفى وأن الملهى يمكن أن يذهب إلى الشيطان .

ويقال أنه يكمن فى كل منا لص محتمل .. وأن كلا منا يود لو أن يحصل على شئ نظير لاشئ .. سحر الدولار السهل وجاذبيته .ولهذا انتهزت هذه الفرصة التى عرضت لى فى حدود النظام أو بوجه أصح فى حدود الطريقة التى توزع بها الشقراء الورق .. ورفعت رهانى إلى خمسة دولارات فابتسمت لى مشجعة .. وأخذت أربح كل مرة تقريباً .. ورفعت الرهان عندئذ إلى عشرة دولارات . لكن الحسناء رفعت حاجبيها فى شئ من الاستنكار ،

فعدت إلى خمسة دولارات. وأخذت أربح من جديد . واستمررت أربح كما لو كنت أعيش فى حلم من الأحلام الجميلة ، وتكومت الفيشات أمامى حتى لم أجد محلاً لها فأخذت أضع مايزيد فى جيوبى حتى لا ترتفع الفيشات وتلفت الأنظار إلى .

واستمر الأمر هكذا حتى بلغت الساعة السادسة .. وكنت أخسر مرة وأربح مراراً .. وامتلأت جيوبى بالفيشات .. وعندئذ بدأت الشقراء تنظر إلى ساعتها .

وعندما نظرت إلى ساعتها للمرة الثالثة فهمت .. وتحولت إلى الرجل الجالس إلى يسارى وسألته

– أين أجد مطعماً لكى أتناول الطعام فى رينو ؟

ولم يرد الرجل إلا بعد أن فرغت الشقراء من توزيع الورق .

ونظر إلى الورق الذى بين يديه ثم ألقاه فوق المائدة ووضع فيشاته فوقها دليلاً على أنه يواصل الرهان

وقال وهو يشير بابهامه إلى الناحية الشرقية . بعد شارعين من هذه الناحية يوجد مطعم اسمه " سلاجل "

– شكراً .. أظن أننى سأمضى لأجريه بعد لحظة .. لم تبد الشقراء أية حركة ، والواقع أنها تظاهرت بأنها لاتهتم بحديثنا القصير بحيث أدركت أنها ستوافينى هناك .. سيكون من المهم أن أعرف كم تطلب نصيباً لها .. وعندما أقبلت الفتاة التى تحل مكانها اختفت الشقراء من الباب المخصص للمستخدمين .. ولعبت أربع مرات أخرى خسرت فيها عشرين دولار ثم ربحت

برحت مكانى ومضيت إلى الخزانة وألقيت بالفيشات أمام الشباك

واستبدلها الصراف بأوراق مالية من فئة العشرين دولاراً مجموعها أربعمائة دولار وبالأضافة إلى الدولارات النقدية التى دسستها فى جيبى فى بداية اللعب يكون المبلغ الأجمالى الذى ربحته أربعمائة وسبعة وعشرين دولاراً وخرجت وقد خيل لى أننى ديلنجر

★★★

وبعد بضعة دقائق كنت واقفاً ، أعتمد بظهرى على واجهة مطعم سلاجل ، أنفث دخان سيجارتى فى نسمة المساء الحادة وأنظر إلى الشقراء الجميلة وهـى مقبلة نحوى .. وعندما اقتربت منى بحيث تستطيع السما ع أطلقت صفيراً خافتاً يدل على الأعجاب .. ورمتنى عندئذ بإحدى الغمزات التى تعرف سرها وابتسمت لى فقلت

– ما أجملك !

قالت .

– هل أروق لك ؟

لم تكن تعرف الخجل ، ومع ذلك فقد توردت وجنتاها قليلاً .

وكانت ترتدى بلوزة ضيقة من النايلون و"شورت " من نفس النوع ، مما أظهر مفاتنها فى غير أسفاف وتأبطت ذراعى ودخلنا معاً إلى المطعم .. وجلسنا فى مقصورة صغيرة جانبية بها مقعد جلدى طويل ومريح .. وجاءت الساقية وألقت أمامنا قائمتين وانصرفت وقلت

– اسمى مات برادى . ويطيب لى أن أبدأ بكأس من النبيذ الجيد ، ثم

شريحة من اللحم .

أجابت وهى تبتسم :

– وأنا أسمى مرجريت بليك .. ماجى للأصدقاء .. وليس هناك مأتمناه أكثر من كأس من النبيذ الجيد وشريحة من اللحم .

قلت :

– هذا جميل .

ثم رددت البصر حولى كما لو كنت أريد أن أكشف لها عن سر لاأحب أن يسمعه أحد غيرها وقلت :

– أننى ربحت مبلغاً كبيراً من المال فى القمار اليوم ياحبيبتى .. أكثر من أربعمائة دولار ، وأريد أن نحتفل بهذا الأمر معاً .

وابتسمت هى من جديد ، وأحسست بالارتباك .. وحتى قبل أن يأتى النبيذ شعرت بحرارة متزايدة تجتاحنى .. وتبادلنا بعض الدعابات البريئة ونحن نتناول الشراب ، ثم جاءت شريحتا اللحم ، وكانتا ساخنتين .. وعندما فرغنا من الطعام ، كان كل منا قد روى للآخر تاريخ حياته ، فعرفت هي أن شركة مات برادى للنقل ملكى أنا وأنها تمثل قوتى اليومى ، فى حين عرفت أنا أنها تعمل فى توزيع الورق بملهى وسلفركنج منذ نحو سنة .

وسألتها :

– هل يروق لك هذا العمل ؟

– أن المواعيد لابأس بها .. وبارت أكرز ، مخدومى ، ليس شريراً والمرتب مرتفع .

- وهل هناك مستقبل ؟

ترددت قليلاً ثم أجابت :

- كلا .. ليس هناك أى مستقبل لموزعة الورق أمام موائد القمار .. ولكننى فكرت فى الأمر يابات .. إن أختى تقيم فى لوس أنجلوس ، وتطلب منى دائماً أن ألحق بها وأن ألتحق بعنل ثابت .. وقد أفعل ذلك ذات يوم .. ولكننى لاأدرى ،، إن الحياة تطيب لى فى رينو

قلت

- لاريب إن جيك ويرث هذا رجل له أهميته

- هل تعرفينه ؟

- إننى أعرف من هو ، أما هو فلا يعرفنى .. ولكنه يأتى إلى الملهى من وقت لآخر .

كانت أجمل فتاة فى الملهى ، ومع ذلك لم يكن جيك ويرث يعرفها .. لعلها تتظاهر بالتواضع .. ولكنها قالت أن ويرث كان يأتى من وقت لآخر كذلك .. ومع ذلك فلا يمكن أن يكون الأمر مجرد حساب فى محل ما إذا كان لا يأتى إليه إلا من وقت لآخر .. حساب ؟ .. ولكن ويرث لم يوقع فاتورة الحساب ، بل اكتفى بأن قال :" أضف كل هذا على حسابى " .. ثم انصرف .. وأخذت أنقر بأصابعى على المائدة ثم مددت يدى إلى علبة السجائر ، وأخذت سيجارة وقدمت لها واحدة ثم أخرجت قداحتى وأشعلت السيجارتين .

كان هناك شئ مريب .. شخص غير صريح مع مات برادى . وهذا الشخص اسمه بليك .. وأرسلت دخان سيجارتى نحو السقف ونظرت إليها

من خلال المصدة وقلت وأنا أبتسم

- اصغى إلى يافتاة . ماذا لو تحدثنا عن النقود ؟ .

قولى لى ماذا تريدين فنقتسم الأرباح .. حسناً ؟

- لا أريد عمولة يامات .. أنت الذى ربحت والمبلغ كله ملك لك .

- ماذا تريدين إذن ياماجى ؟

وهل لابد لى أن أريد شيئاً بالضرورة ؟

وكان رماد سيجارتى قد طال فعالجته ، وأخذ ذلك منى بعض الوقت .. وعندما رفعت رأسى التقت نظرة الشقراء بنظرتى وبقيت معلقة بها وأجبت :

- أظن ذلك .. خذى مثلاً أول مائة سائقى سيارات نقل تلتقين بهم فى أى طريق ، واحتفظى بالسبعة الذين يبدو من هيئتهم إنهم أيرلنديون ودعى الآخرين ينصرفون ، ثم أوقفى هؤلاء السبعة فى صف واحد وخذى الذى فى الوسط .. أنه هو مات برادى .. وهو شخص عادى تماماً فيما يتعلق بنقوده وثيابه .. ولن أضيف الكثير من الحماقات التى يجب أن تسمعيها كل يوم ، ولكن لابد أن أقول أننى لن أحتفظ بهذه الشارة التى فى مقدمة قبعتى لو أننى لم أستطيع أن أرى بوضوح لكى أقود سيارتى .

معنى هذا أعرف مكانك فى هذه المسألة تماماً .. إنك لست أمام الرجل الذى فى الوسط .

وإذ راحت تضحك عدت أقول :

– ماهى الفكرة التى فى رأسك إذن ؟

– مات . إنك ربحت ذلك المال ، وإذا اتخذت مسلكاً آخر فسوف يتكهرب الجو بالنسبة لى أعنى إذا اكتشف بارت أكرز حقيقة الأمر .

– اتفقنا إذن .. إننى ربحته .. ولكن فيما بيننا لماذا ؟

سحقت سيجارتها . ولم تنظر إلى هذه المرة ، وقالت :

– ربما لأن واحداً من السبعة راق لى .

أكانت هذه النقطة هى الحاسمة .. فما كنت لأستطيع أن أتعمق فى الأمر من غير أن ألقى حشداً من المجاملات .. وانهمكت فى عمل سريع يدل على خبرة كبيرة وأعادت صبغ شفتيها بالأحمر ثم أطبقت حقيبتها فى حركة رشيقة ونهضنا .. وألقيت على المائدة ورقة مالية لتغطية الحساب ثم مضينا نحو الباب .. ولكننا لم نصل إليه .

لم نصل إليه لأننا ماكدنا نبلغ منتصف الطريق إليه حتى انغرزت أصابع ماجى فى ذراعى وتوقفت وقالت لاهثة :

– مات !

نظرت إلى وجهها المذعور ، ثم نقلت عينى إلى حيث تنظر فرأيت سيارة سوداء مقفلة بجوار الرصيف .. ولم يبذل الرجل المتين الجسم الذى يجلس بداخلها وينظر ناحيتنا أى جهد لكى يخرج من السيارة .

– مات ؟ .. إنه آت من سلفركنج .. إنه من رجال بارت اكرز .

قلت وأنا أحاول أن أضحك ضحكة صغيرة

لعله جائع .

– لاتمزح يابات .. لعلنا ارتكبنا غلطة ما

أرغمتها على أن تستدير بطريقة عادية واتجهنا نحو الباب الخلفى . وكانت أصابعها لاتزال متشبثة بذراعى .. وسمعتها تلهث .. ومررنا بباب مكتوب عليه " المستخدمون " وترددنا بما فيه الكفاية كى نستدل على باب الخروج ثم انطلقنا مسرعين .. واجتزنا باباً آخر ومررنا أمام صف من صناديق طويلة للقمامة ، ولم نلبث أن ألفينا نفسينا أمام الباب الخارجى .. وكان يسده شخص ضخم الجثة وقد وقف مباعداً مابين ساقيه وعلى شفتيه ابتسامة شيطانية ، عاقداً ذراعيه فوق صدره وقال

– هل تذهبين إلى مكان ما ياماجى ؟

شهقت الشقراء من الدهشة ، ولم أنطق أنا بشئ .

فلم يكن ذلك الشاب واقفاً فى ذلك المكان لكى يتكلم .

وقد حررت بيدى اليسرى ذراعى من يد ماجى فى رفق .

وقال الرجل :

– إن بارت يريد أن يراك أيتها الجميلة . أنت وذلك الماكر الصغير الذى يرافقك .

بدأت بأن وجهت إليه لطمة قوية فى بطنه ، وبينما كان يتلوى من الألم اتبعتها بلطمة على فكه ، ولكن يدى أصابها الوهن فى منتصف الطريق ، ووقفت على كتفه دون أن تصيبه بضرر يذكر فى حين وقعت أنا بالذات وارتطمت رأسى بالرصيف ، ولم أع شيئاً

وعندما رددت إلى نفسى أحسست بأننى ملقى فى أرضية سيارة . ورأيت أن أبقى جامداً وأن أحاول معرفة سير الأحداث .. ولكن قبل أن أتمكن من الاهتداء إلى أى شئ توقفت السيارة فأطبقت عينى وانتظرت .

ورفعنى رجل من ركبتى فى حين أخذنى آخر من ذراعى واجتاز الأثنان بى باباً ثم ألقيا بى على الأرض فى غير رفق.. فوقعت فوق سجادة لينة ، وسمعت صوت ماء ينساب من صنبور فتأوهت وتحركت قليلاً ثم فتحت عينى .

– قف .

تحاملت على ركبتى بمشقة .. كانت الشقراء جالسة فوق مقعد كبير وقد دفنت وجهها فى منديلها .. وكان هناك ثلاثة رجال يبدو كل منهم متين البناء قاسى الملامح ، ويسدل كل منهم طرف قبعته على وجهه ويبدو مظهرهم أقرب إلى مظهر القتلة ، بينما جلس خلف مكتب رجل رابع راح ينظر إلى فى تقزز ظاهر ، حبته الطبيعة بذقن مزدوجة وشفة متدلاة .. وعندما تكلم انبعث من عينيه بريق .. قال :

– قلت قف أيها الخنزير .

وتمكنت من الوقوف أخيراً وأنا أشعر أن رأسى تكاد تنشطر نصفين .. ومررت بأصبعى خلف قبعتى وأحسست بورم كبير .. وانحنى ذو الذقن المزدوجة ناحيتى ، ويداه فوق زجاج مكتبه وقال :

– اننى لن أسألك أيها الخنزير إذا كنت قد فعلت هذا حقاً لأن رجالى رأوا كل شئ .. ولاأدرى كم من الوقت استمر هذا ، ولكن يكفينى أن أعلم

أن هذا قد حدث ، ولا يسرنى هذا أبداً هل تسمع ؟

ورمانى بنظرة تقدح شرراً ثم تحول إلى ماجى وقال

ماذا فعلت لكى أستحق منك هذه الضربة ؟ أننى أنقدك مرتباً مرتفعاً ، كما تفعل جميع ملاهى رينو ، وأعاملك كما يجب ، ولاأطالبك بالبقشيش الذى تحصلين عليه كما يفعل غيرى من أصحاب الملاهى .. أليس هذا صحيحاً ياماجى ؟

وكنت قد أحسست بتحسن فى حالتى ، ولم أشأ أن تتحمل الشقراء من التقريع أكثر مما يجب فقاطعته وأنا أقول لنفسى أن علقة أخرى أفضل بكثير من أن أترك أكرز يعنف الفتاة :

– دع العواطف جانباً . أننى رشوت إحدى موظفاتك ، وأقنعتها أن تجعلنى أربح بضعة دولارات من "سلفركنج " وأنت الآن قد أفلست ، أليس كذلك ؟ .

مائتا دولار أفلست الملهى..

وكان ذلك كافياً لكى يحول ذو الذقن المزدوجة اهتمامه إلى . وكان الرجل السخيف ممسكاً بكوب من الماء فألقاه فى وجهى ، وفتح ركن فمه لكى يقول

– دعنى أعطى هذا الوقح درساً يابازت .

وكنت أسرع من صاحب الملهى فى الرد إذ قلت :

أن لك ميزة على أيها الرجل الشجاع .. ألق مسدسك فوق المكتب ودعنا نتصارع بالأيدى .

صاح ذو الذقن المزدوجة

- أخرس أنت وهو

ولكنه كان قد وقف على قدميه عندئذ وتطاير الشرر من عينيه وهو ينظر إلينا عبر مكتبه وقال

- أننا نضيع الوقت .. أنا الذى أتولى دفة الأمور .

وتحول نحو الشقراء وقال :

- أنت مطرودة .. ليس من سلفركنج فحسب ولكن من رينو بأسرها .. أمامك حتى ظهر الغد لكى تغادرى المدينة .. وسأتحقق أنا بنفسى من أنك غادرت البلدة .. هل تسمعين ؟

هزت ماجى رأسها وقد خفضت عينيها وجهها مازال مدفوناً فى منديلها .

- أما أنت أيها الخنزير فلا حاجة لنا بك أنت الآخر ، ولايهمنى أن أعرف حتى تغادر المدينة ، ولكن لاتطأ سلفركنج بقدميك بعد اليوم . هل تسمع ؟ .

ونهضت قبل أن تسوء الأمور أكثر من ذلك .. ونهضت ماجى وأقبلت نحوى .. وألقت بأصابعها على ذراعى قائلة :

- تعال يامات .. من الأفضل أن ننصرف وكانت تتكلم فى صوت خافت مذعور بعض الشئ .

وكانت على حق طبعاً ، فقد لعبنا بالنار ، وخرجنا من اللعبة بحرق بسيط جداً .

كان اكرز جالساً خلف مكتبه وعلى وجهه تكشيرة بشعة ووقف رجلان من رجاله خلفه . أما الثالث ، وهو الرجل النحيف الذى تكلم من ركن فمه

والذى يتظاهر بالقسوة والشدة فقد كان يعتمد بظهره على الباب ، ولم يتحرك .

– دعهما يخرجان يافارنى .

كان الرئيس هو الذى تكلم خلفنا ولكن فارنى رمانى بنظرة صارمة على الرغم من ذلك .. وحررت ذراعى من يد ماجى .. ورآنى أكرز أفعل ذلك فصاح فى حدة :

– فارنى !

وأفسح الرجل " الصنديد " الطريق وتركنا نمر .

كانت الشقراء تقطن فى شقة بالدور الثانى .. وبدأ نسيم المساء الرطب يهب من ناحية الصحراء .. وكنا جالسين فوق الأريكة وأمامنا على منضدة صغيرة قدحان من القهوة .. واضطجعت فى مقعدى إلى الخلف .

وحاولت أن أستعيد الأحداث التى وقعت وأن أهتدى إلى الخيط الذى يربط بينها .. لقد احتجز ويرث سيارتى ، ووهبتنى الشقراء أربعامائة دولار فى لعبة مغشوشة ، وأصابنا ماأصابنا من ضرب وتقر ع ، وفقدت الشقراء عملها .

– يؤسفنى جداً أنك فقدت عملك ياماجى .

–أشكرك يامات ، ولكننا نعرف ماينتظرنا .. أنك كنت كريماً إذ أخذت اللوم على عاتقك فى مكتب آكرز .. وسأتذكر ذلك إلى الأبد يامات .

ولكن الغلطة غلطتى أنا منذ البداية فأنا التى بدأت بالغش وليس أنت كيف

حال رأسك .

ومرت بيدها الحانية فوق كتفي وتوقفت عند عنقي .. وداعبت أصابعها وجهي في رفق . والتقت عيناها بعيني ، وحاولت أن أقرأ ماتخفيه فيهما طبعاً . كانت هي التي أثارت الزوبعة ، فلماذا .. وقلت وأنا أضع الأوراق المالية فوق المنضدة

- هذه هي النقود ياماجي .. احتفظي بها .. أظن أن بارت لن يستردها منا لأنه لم يشأ أن نذهب ونشكوه ونقول إنه يستخدم رجالاً مسلحين لاسترداد مايربحه اللاعبون من الملهى .. هذه النقود لك أنت

- كلا يامات

قلت وأنا أبتسم

- بل هي لك .. أن لدي عملي ، أما أنت فقد أصبحت بلا عمل ، فخذي النقود . يجب أن أدفع ثمن الدرس الذي تلقيته

ولمست قمة رأسي بيدي وأنا أقول :

- من حسن حظي أنها "ناشفة" .

- مات .. لا أستطيع .

ونشطت أصابعها في مداعبة عنقي من جديد واستطردت :

- هناك أشياء يقدم عليها المرء من أجل المال وأشياء يقدم عليها في سبيل لاشئ .. وإذا أنا أخذت النقود فلن أكون إلا غشاشة قذرة ، وماهكذا بدأ الأمر .. رأيتك جالساً مع روبرت ولا أدري ماالذي أصابني يامات .. أردت أن أجعلك تربح

– ولكن ماذا ستفعلين الآن ؟ .. هل تمضين إلى أختك فى لوس أنجلوس ؟

– ولم لا ؟ كنت أريد أن أذهب لزيارتها ، وقد حانت الفرصة . وربما كان ذلك شيئاً جميلاً حقاً لأنه لايوجد أى مستقبل لموزعة الورق فى ناد القمار .

أسرعت تقول :

– ماجى إننى سأعود إلى لوس أنجلوس بمجرد أن يفرغ جاك ويرث حمولة سيارتى ، فلماذا لاتأتين معى وتجلسين بجوارى .. أنها ليست سيارة بولمان ولكن مقصورة القيادة نظيفة ومريحة ويسرنى أن ترافقينى .

– ولكن هذه فكرة رائعة جداً يامات .

وانفرجت شفتاها وراحت تلهث كما تفعل الفتاة المراهقة حين يدعوها شاب لنزهة معه .. ولكن إذا كانت ذكرياتى عن أيام الدراسة صادقة فإن الكثيرات من المراهقات كن يتملكهن الدهشة عندئذ ، وكان أكثرهن يبذلن جهدهن لكى يدعوهن الفتى الذى يقع عليه اختيارهن .. واحسست فجأة بأن الشقراء الجالسة بجوارى لم تدهش كما كان ينبغى حين عرضت عليها أن ترافقنى إلى الجنوب .. ومرة أخرى خامرنى أحساس بأن الأحداث تفلت منى ، كالكاميون المحمل على طريق مكسو بالثلج .. كنت بحاجة إلى الوقت .. وكانت هناك بعض السجائر فى علبة صغيرة فوق منضدة القهوة فأشعلت اثنين ناولت أحدهما للشقراء وأنا أقول :

– أتفقنا .

– وهل كان بوسعى أن أقول غير ذلك ؟

هتفت تقول

- سأحزم حقائبى صباح الغد .. حقيبتين وراديو صغير .. هذا كل ما لدى .

ولم يعد هناك شئ آخر .. وغطيت يدى بيدها فلم تسحبها .. كانت متكومة حول نفسها فوق الأريكة وقد انثنت ساقاها تحتهاولم يظهر منهما غير كاحل صغير وحذاء ذى كعب عال تحت الجونلة الرقيقة النايلون .

كان التأثير جميلاً . كان كل شئ رائعاً لولا أن بعض الأمور قد حدثت بسرعة بحيث لم أفقه لها شيئاً .

وتلاقت نظراتنا من جديد . وتراقصت الشرارة من أحدنا للآخر وفجأة لم أعد أهتم بقطع اللغز التى بدت متنافرة وغير منسجمة بعضها مع البعض .. لم يعد يهمنى أن يكون للشقراء الجميلة دخل كالخيط الذهبى الذى يظهر ثم يختفى فى ثياب المهرج المختلفة .. وانحنينا ، كل منا نحو الآخر ، وتلاقت شفاهنا واحتوتنى ذراعاها .

- مات .. ماكان يجب أن تهتم بى .. لماذا تحتم أن تكون أنت بالذات ؟

لم أجب .. واكتفيت بأن ضممتها بين ذراعى فى قوة .. وبقينا هكذا مدة طويلة .. وكانت ماجى هى التى تخلصت أخيراً وقالت :

- الأوفق أن تتصرف بهدوء يامات .

- طبعاً ياحبيبتى .

ونهضت .ومضيت إلى النافذة المفتوحة ورحت أسبح فى هواء الليل ، وعندما عدت كنت قد سيطرت على نفسى .. وقلت وأنا ابتسم :

– لاحاجة بك إلى العمل لكى تكسبى ثمن الرحلة .

سأمر غداً لكى أصطحبك بمجرد أن يفرغ ويرث من تفريغ حمولتى .. ربما فى العاشرة أو بعد ذلك بقليل .. وسنكون قد غادرنا رينو فى الساعة الحادية عشرة ، ونصل إلى لوس أنجلوس قبل منتصف الليل بقليل .

وأخذت قبعتى ومضيت إلى الباب وفتحته .. ولكن الغشاشة الجميلة اجتازت الغرفة مسرعة ووقفت بينى وبين الباب ، وألقت يديها على كتفى . وكان الباب قد بقى مفتوحاً خلفها وقالت :

– ماهذا عنيت يامات .. أننى .

قلت :

– ماذا لو تصارحينى بما يدور .. إن هناك أشياء كثيرة تستغلق على

ووقفت على طرفى قدميها وأحاطت عنقى بذراعيها وأطبقت بفمها على فمى ، وارتعشت شفتاها تحت شفتى .. وسمعت جذاعها يدفع الباب خلفها ثم سمعت الباب ينصفق فى صوت جاف .

فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى كنت اعتمد بظهرى على سيارتى الكاميون أمام محل جيك ويرث ، انتظر قدوم صاحب المحل . وكنت قد اتصلت به بالتليفون وقال إنه لن يتأخر عن المجئ . وبدا لى أنه يتكلم معى بطريقة غير ودية .. ورحت أدخن سيجارة وأنا أتساءل إذا لم يكن يارت آكرز قد وى له ماحدث .. وعندما رأيت ويرث يتقدم بخطوات واسعة فى الشارع أدركت أنه على علم تام بما حدث فى ملهى أكرز

نظر إلى متهيباً وقال فى ايجاز وهو يفتح الباب

– هذه مسألة قذرة يابرادى .

ودخلنا بين المرايا واللوحات الفنية والطلاء الحديث .

ولم تكن السجادة قد ركبت بعد .

إنك تدبرت وورطت نفسك مساء أمس ، بعد أن غادرتك يابرادى .

– ماذا لو تحدثنا قليلاً عن حمولة سيارتى ياويرث .

– سوف نفعل .. ولكننى اتحدث الآن عن تلك اللعبة القذرة التى قمت بها أنت والشقراء فى ملهىٰ بارت .. إننا لانحب هذا النوع من الأشياء كثيراً فى رينو يابرادى .. وإذا أردت الحق فهذا شئ لانقبله على الأطلاق وأبقى إلى نظرة باردة ووضع قبعته فوق المكتب العارى وراح يسير جيئة وذهاباً فى القاعة .. وإذا كان قد انتظر أن أتبعه وأحاول أن أقدم له تفسيراً لما حدث فقد أخطأ .. وعبرت القاعة ونظرت إلى المرآه ، وأزلت خيطاً رفيعاً من فوق قميصى الأخضر ثم رفعت رأسى لكى انظر إلى اللوحات .. كان الإسم الذى فى أسفل واحدة منها هو ويرث .. وانتقلت إلى لوحة ثانية على الرغم من أنه لم يكن هناك أى دا ع لذلك ، فقد كان واضحاً أن كل اللوحات من رسم شخص واحد ، هو ويرث .

وعدت إلى المكتب وجلست فوق حافة منه .. أن ويرث هذا رجل موهوب .. لوحات فنية ثمينة ومحل للميسر من الدرجة الأولى .. أنه رجل ذكى .. ماسة ثمينة متعددة الأضلاع ، وحريص على التحدث فى التليفون بعيداً عن مسمع أى غريب.. ورحت أدخن سيجارتى وأنا أنتظر ،

وقال فى غير اكتراث :

- سوف نفرغ حمولة سيارتك حالاً وجلس فى مقعده أمام المكتب . ولكنه سرعان مانهض ثانية ومضى إلى المكتب الصغير الخلفى ، وعندما عاد كان يمسك بمقعد قدمه لى كان من الواضح أنه لايحب أن يجلس أحد أمامه بطريقة تد طره إلى رفع رأسه لكى يراه

- أننى ارسلت جو لكى يبحث عن بعض العمال ، وسوف يأتى من وقت لآخر ..كلما أسرعت بمغادرة رينو كلما كان ذلك أفضل .

قلت

- أن الأنباء تنتشر هنا بسرعة غريبة

- أننا ندير أمورنا إذا ماأقدم أحد على أية خدعة فى رينو فإن الجميع هنا يتناقلون أخباره .. والذى يحزننى يامات هو أننى أنا الذى مضيت بك إلى بارت ، وقد شعرت من نحوك بود عجيب و

قاطعته أقول

- وفر دموعك . ليس الإنسان بحاجة إلى عراب لكى يشترك فى لعب الورق فى رينو إن أى شخص ، فى جيبه نقود يمكن أن يدخل سلفركنج ويضع نقوده على مائدة القمار ويلعب كما شاء له اللعب

مالذى دهاك ياوبرت ؟ .. هل أنت شريك فى ملكية سلفركنج

فتح فمه ثم أطبقه وقال وهو يرمينى بنظرة يقظة

- كلا .. كل ماهناك .

- أطبق فمك إذن

راح يضرب بقبضة يده راحة يده الأخرى ، ثم عادت الابتسامة المهنية

إلى وجهه .. كان يبذل كل جهده لكى يبدو ظريفاً مع مات برادى .. وقد تعمدت وأصبته بصدمة .. ولم يكن بالرجال الذى يقبل أى شئ كان ولكنه تحمل الضربة هذه المرة .. وحاولت أن أفهم لماذا ؟.

واتضح أن جو هو نفس الرجل الذى رأيته بالأمس والذى كان يرتدى البدلة التويد ، ولكنه استبدل البدلة التويد هذه المرة بأخرى غيرها .. وجاء معه بأربعة من العمال قاموا بتفريغ الحمولة من الكاميون .. وبعد أن أغلقت أبواب السيارة قدمت الفاتورة لوبرث فرفع حاجبيه وقال فى لهجة مريرة :

– إذا اعتبرنا ماحصلت عليه من سلفركنج فإن الجرأة لاتنقصك لكى تطلب منى أن أعوضك عن التأخير .

– أنتى قلت لك أمس إنك طلبت البضاعة ، ولكنك لم تستطع نقلها من السيارة ، ولهذا لابد لك أن تدفع .. هذه هى الأعمال .. وماعليك إلا أن تخصم المبلغ من حصة العم سام .

– طبعاً ، ولكن .

هل كنت ترد لى خسارتى لو أننى خسرت نقودى ياوبرث ؟

توترت عضلات فكه ولكنها لم تلبث أن تراخت .. ومضى فجاء بدفتر شيكاته .. ونظرت إليه وهو يكتب .

كانت أصابعه تجرى بالقلم فى خفة ويسر ، وخرجت الكلمات ملساء ومستديرة وجميلة .. وألقيت نظرة على اللوحات الفنية ثم عدت بعينى إلى التوقيع الذى على الشيك .. كان الخط والتوقيع مماثلين .

ونهض ورافقنى حتى سيارتى، وجو من خلفنا .. وعندما صعدت إلى

مقعد القيادة قال

– أنني شديد العجب يامات أزاء الطريقة التى استملت بها الشقراء واقنعتها بأن تقدم لك نقود آكرز لقد كانت لعبة متقنة ، ولكن لاتحاول القيام بها مرة أخرى .. إننى أنصحك كصديق يامات . إن بارت لم يعجبه ذلك أبداً .. وإذا أقدمت على نفس اللعبة فى ملهى آخر فإن منظمتنا ستعتبرك شديد الخطر على نشاطها .. أظن أنك تفهم ماأعنيه يابراد ؟

– إذا كنت تقول لى ذلك بدافع الكرم ياجيك فإننى أشكرك .. ولكن لاتبال ، فإننى لن أعيد الكرة .

هز ويرث يده .. ولم ترق لى الابتسامة التى شيعنى بها .. وكذلك لم ترق لى ابتسامة جو ، فإن آخر مرة نظر إلى فيها شخص بهذه الطريقة انتهت بمجموعة من الجروح واللطمات والبقاء فترة وجيزة فى السجن

وعدت بذهنى إلى الوراء وتذكرت حادثاً وقع لى أثناء الحرب كانت فرقتنا موجودة على سطح حاملة دبابات فى طريقها إلى سايبان ، وأظن أننا أحسسنا بشئ من الضجر والملل ، ووقعت بينى وبين البحارة مشادة

كانت مشادة بدأت بسيطة ثم أخذت تكبر وتشتد إلى حد أن رأينا أن ننهيها بيننا بالملاكمة .. ومضينا إلى الحلقة التى أعدوها بالحبال فوق سطح الباخرة .

ونظر الجميع إلى عندئذ كما لو كانوا ينظرون إلى خروف ذاهب إلى المذبح .. ولكننى كنت قد تشاجرت قبل ذلك مرة أو مرتين وعرفت كيف ادافع عن نفسى ، و صورت أننى ا ستطيع أن أفعل نفس الشئ هذه المرة

ولبسنا القفازات ودق أحدهم الجرس وبعد ثلاث جولات قصيرة أوقف البحار المعركة كرماً منه ورفقاً بي لأن الذى حدث لمات برادى ماكان يجب أن يحدث لأى شخص آخر ولاحتى لمحترفى الملاكمة الذين يتلقون اللطمات والضربات نظير آلاف الدولارات .

وقد أتضح أن ذلك البحار كان يتدرب لكى يشترك فى بطولة الأسطول الأمريكى للملاكمة .. وبعد سفك الدماء لم ينضب معين الأصدقاء فى اطراء الطريقة التى صمدت بها حتى الجولة لثالثة ، ولكننى اتذكر النظرات الحزينة التى رمونى بها وأنا أستعد لمنازلة البحار .

وتذكرت الفيشات التى أخذتها كذلك .. والآن أرى نفس النظرة الحزينة على وجه جيلا وبرث ومساعده .. كان لسان حالهما يقول :

– خسارة .. ياللغبى الأحمق .

أوقفت الكاميون بجوار الرصيف ، وصعدت إلى الشقة ركضاً فوجدت ماجى فى انتظارى .. كانت مستعدة للرحلة .. وكانت قد جمعت شعرها الطويل وربطته بشريط جميل ، وكانت ترتدى بلوزة مكشوفة الصدر وجونلة جميلة .. ولم أر حقائبها .. وقد لقيتنى وعلى شفتيها ابتسامة تدل على تردد يسير .. ورأيت فوق المنضدة الصغيرة الأوراق المالية من فئة العشرين دولاراً ، وفوقها الدولارات الفضية فى نفس المكان الذى تركتها فيه .. وقلت وأنا أشير برأسى إليها :

– إنه لبقشيش سخى للخادمة !

قالت وهى تنظر إلى مات .. إننى .. لاشئ يرغمك على أن تربك نفسك بى للعودة إلى لوس أنجلوس .

قلت :

- أربك نفسي .. ولكنني في غاية السرور .

- مات ! .

وتقدمت مني وعيناها الزرقاوان تتأملان وجهي وعندما اقتربت مني طوقتها بذراعي .. وتراجعت إلى الخلف وهي تقول :

- مات .. أريد أن أطلعك على مشاعري نحونا معاً .

وتخلت يداها عن كتفي ووضعت راحتيها فوق عيني في رفق معتمدة بأصابعها المتشابكة على أرنبة أنفي .. وانبعث من يديها احساس بالطراوة في وجهي كله ، ولم أعد أستطيع رؤية شئ وقالت :

- يجب أن تأخذ النقود يامات وإلا أفسدت مابيننا لن أكون فتاة وقعت على فتى راق لها وانما غشاشة قذرة تسعى وراء النقود .. هل ستأخذها يامات ؟

- حسناً .. والآن ؟

- أنتظر .. إنني أريد أن أقول لك شيئاً آخر .. لاأريد أن تتصور أنك مضطر أن تصطحبني إلى لوس انجلوس .. لو خطرلي أنك تظن أنك مضطر إلى ذلك بسبب ماحدث الليلة الماضية فإنه سيكون أمراً فظيعاً بالنسبة لي . أعني أن ذلك سيجعل مني انسانة أخرى لاأريد أن أكونها .

أوقفت هذا السيل المتدفق من الكلمات كما يفعل أي رجل آخر لديه ذرة من العقل .. وأنتهي الأمر بيننا بعناق حار .. وعندما تباعدنا كانت ترسم على شفتيها ابتسامة متألقة وسألتها قائلاً :

– هل الأمر على مايرام الآن ؟ .. هل نستطيع أن نرحل ؟

قالت وقد أصبحت عملية .

– طبعاً يامات .. هناك حقيبتان في المطبخ .

وأمسكت بجهاز راديو صغير وبجعبتها اليدوية ثم هبطنا .. ولما كانت مقصورة القيادة واسعة بما فيه الكفاية فقد وضعت الحقيبتين بجوارنا ، بعيداً عن ساقينا .. ووضعت جهاز الراديو فوق إحداهما ثم عاونتها على الصعود .. وأدرت المحرك وانطلقنا .

– ها نحن قد بدأنا الرحلة ياماجي .. هل انتهت متاعبك ؟

قالت وهي تربت بيدها على ذراعي :

– نعم يامات ويحلو لي أن أتذكر الجزء الأول من هذه الرحلة .

لاشئ إلا الثلاثمائة كيلو متراً الأولى ، من رينو حتى بشوب ، تماماً قبل أن ألحظ السيارة التي كانت تتبعنا في اصرار عجيب .

كان كل شئ وادعاً قبل بيشوب .. كانت سيارة الكاميون فارغة وكانت تنساب فوق الطريق في خفة ومحركها الديزل يدور بانتظام كالساعة الثمينة .. وكانت الشقراء أجمل الأشياء التي تزين مقصورة القيادة .

وكانت فوق ذلك زميلة رحلة مدهشة .. لاأسئلة مبهورة يتبعها شرود ذهن واضح عند الاجابة عليها .. ولاضحك متواصل لطالبة مراهقة كل دقيقتين .. لاشئ غير شابين ناضجين يخطو كل منهما نحو الثلاثين .. وإذا كان من الخطورة بالنسبة لها أنها فقدت عملها فلم يظهر عليها شئ من ذلك .. كان الحديث بيننا عادياً وسهلاً .. وفي مدينة كارسون توقفت عند محطة بنزين

للسيارات الثقلية لكى اتزود بالوقود .. وسألتها قائلاً :

– هل تريدين قهوة ياماجى ؟

ترددت .. والقت حولها نظرة حذرة ، ثم أومأت برأسها نحو مشرب صغير وتأبطت ذراعى قائلة :

– فكرة طيبة .. لنمض إلى هذا المشرب ، فمنه نستطيع أن نرى الحقيبتين .

واحتسينا القهوة ، وتناولنا بعض البسكويت بحيث أستعدنا قوانا ونشاطنا عندما عدنا إلى السيارة .

وأدرت مكيف الهواء الخاص بالصحراء ثم ملأت خزان الماء وانطلقنا فى الطريق من جديد .. وقطعنا كيلو مترين أو ثلاثة ثم لاحظت أن الشقراء راحت تنظر إلى بطريقة عجيبة .

وقالت فجأة :

– مات .. أراهن أنك متزوج .

– تخسرين الرهان .. ولكن من الذى أوحى إليك بهذه الفكرة ؟

– إن لك طريقة .. إنك تتكلم فى يسر وارتياح .. كما لو كنت معتاداً على أن تكون معك فتاة .

قلت ضاحكاً :

– أربع أخوات .. ثلاث منهن أكبر منى سناً .. وكان لابد لى أن اعتادهن كما ترين وأنت ؟

لم تنطق بشئ .. وأحسست بأصابعى تتوتر على عجلة القيادة وكنت أقود السيارة فى حرص كبير .

ولكننى أحسست فجأة بخوف مبهم ، وأدركت أنه يطيب لى أن أرى ماجى كثيراً عندما تستقر فى لوس انجلوس .. أحلام جميلة .. ولكن .

وقلت فى هدوء :

– لاريب أننى أخطأت .. ولكنك لاتلبسين " دبلة " .. فأين يختبئ ؟

انسابت يدها على قماش كمى الأزرق وهبطت حتى لمست أصابعى ، فوق عجلة القيادة وقالت :

– أنه لم يعد يامات .. لم يعد من جزيرة صغيرة فى المحيط الهادى ، بعد معركة ايوجيما .

قالت ذلك فى هدوء تام .. مجرد بيان لاأكثر .. بيان كان غنياً عن كل محاضرة .. تعلمت كيف تعيش بهذه الفكرة .. ولكننى لم ألق عليها أى سؤال ، وعدت بالحديث إلى القمار ، وسألتها كيف انتهت إليه .

رمتنى بابتسامة حارة وسرنى أن يعود الحديث إلى مجراه العادى .. وقالت :

– هكذا يامات .. لم يكن بالعمل الردئ ، وهو لايختلف كثيراً عن تقديم صوانى الطعام فى المطاعم الصغيرة .. والواقع أننى اشتغلت ساقية قبل ذلك .

واضطجعت إلى الوراء واستطردت تقول :

– إننى زاولت أعمالاً كثيرة .. وأنت يامات ؟ .. إنك لم تتعلم لعب الورق

في سلفركنج طبعاً ؟

قلت وأنا ابتسم :

– إننى قضيت أربعة أعوام فى خدمة العم سام .

– فى أى فرع ؟

– فى الجيش .. فى التحويلات .. وقد مارست لعب الورق كثيراً أثناء هذه المدة بحيث لم أعد أشعر بالرغبة فى اللعب بعد ذلك إلا فيما ندر .

واستمر الحديث بيننا على هذه الصورة بعض الوقت .. وكنا ننتقل من الماضى إلى الحاضر والعكس بالعكس .. وكنا نتقدم فى الطريق باطراد ودخلنا كاليفورنيا وبلغنا الجسر المقام فوق بحيرة تويارا .. وبصفتى سائق سيارة نقل كان لابد أن أقف للتفتيش وفتحت أبواب السيارة الفارغة ، وألقى الحراس نظرة سريعة بداخلها ثم استأنفنا السير .. وبلغنا بيشوب ، ونطقت ماجى بالاسم المكتوب على علامة الطريق ، عن مدخل المدينة وتوقفنا لتناول الطعام .. ومرة أخرى ترددت ماجى لأنها ارادت أن تراقب الحقيبتين أثناء تناولنا الطعام .. وقلت لها مداعباً .

– كأنهما مملوءتان ذهبا .

– إن ثروة بليك ليست كبيرة ، ولكن يحزننى أن أفقد الأشياء الصغيرة التى امتلكها .

وطرحت الأمر عن ذهنى . ولكن حين عدنا إلى الطريق وغادرنا بيشوب قرأت الشقراء اسم المدينة .

نطقت به فى صوت واضح كالمدرس وهو يعلم الطفل كيف ينطقه .

- بيشوب .. إن بيشوب مدينة جميلة .

أجبت وأنا ألقى إليها نظرة وجيزة .. طبعاً .. ولكن الجو حار هناو ..

ولكنها أشارت إلى صبى يركب جواداً أسمر ويعدو به من بعيد وغيرت الحديث .. وأسرعت قليلاً .. وكما يفعل سائقى جميع سيارات النقل ألقيت نظرة فى المرآة العاكسة لكى اتحقق من الطريق .. كان اليوم يوم أحد ، وكان هناك بعض الأهالى يعودون إلى بيوتهم فى نهاية عطلة الأسبوع .. والتقينا بعدد كبير منهم ونحن نقترب من لوس أنجلوس .

ولم ألحظ شيئاً خاصاً .. لأول وهلة .. ولكننى لم ألبث أن لاحظت أن هناك عربة تسير خلفنا .. عربة كان يبدو أنها تتسكع كان معدنها يلمع ويبعث ألف بريق ولكننى لم أر ذلك البريق يزداد ويتضخم فى المرآة العاكسة لى يختفى من جديد كما هى العادة مع غيرها من السيارات .. ولكن السيارة نفسها كانت تظهر ثم تختفى من وقت لآخر وتحتفظ بنفس السرعة التى كنت أنا نفسى منطلقاً بها ، وهى سبعين أو خمسة وسبعين كيلو متراً فى الساعة .. وألقيت بنظرة إلى الشقراء .. ولكن لو أنها كانت على علم بما يدور خلفنا فإنه لم يظهر عليها شئ من ذلك .. وراحت الكيلو مترات تتابع ويتتابع معها شريط الأسفلت اللانهائى ، وكانت السيارة ذات المعدن البراق لاتزال خلفنا عندما ظهرت لون باين أمامنا .

- مات ؟ .. هل هناك شئ على غير مايرام ؟

- على غير مايرام ؟

وكنت قد أجبتها على عجل ، فألقت إلى نظرة عتاب وقالت :

- إنك لاتنطق بشئ منذ فترة .

قلت وأنا أحاول الابتسام :

– ذلك أننى أفكر فى تناول قدح من القهوة أو شئ مرطب .. فلنتوقف فى لون باين .. أومأت بالموافقة .. وتركت مؤشر السرعة يهبط حتى ستين كيلو متراً ، ولم تلبث أن ظهرت العربة التى خلفنا وأخذت تقترب .. غير أنها أبطأت من جديد .. وظلت محتفظة بنفس المسافة بيننا .. وهبط مؤشر السرعة إلى خمسين .. وأبطأ السائق الذى خلفنا مرة أخرى ، واختفى لحظة وجيزة .. سأتأكد من الأمر فى لون باين بصفة مؤكدة .. وتوقفت فى أول مكان مررنا به .. وهبطنا لكى نتناول كوكاكولا .. وأرادت ماجى أن تراقب السيارة الكاميون ونحن نحتسيها .. ولكننى رحت أحدق فى الطريق الذى أتينا منه ، ولم تظهر السيارة ، فقد آثر سائقها أن يبقى معرضاً نفسه للحر اللافح بدلاً من دخول المدينة .

لم يعد لدى أى شك فى أن السيارة الأخرى كانت تتبعنا .. ولكننى رحت أتساءل من يكون ذلك .. وماهو الجمال الذى يجده فى مؤخرة سيارتى لكى يظل خلفنا هكذا .

وإذ خرجنا من المدينة قالت ماجى فى صوت مرتفع :

– لون باين .. هل لون باين مدينة شديدة الحر .. هى الأخرى يامات ؟ .

– طبعاً .. كل مدن هذه المنطقة شديدة الحر .. وسيظل ذلك حتى نصل إلى الساحل .

وخلال المائة والخمسين كيلو متراً التى تلت تكلمنا عن أشياء وأشياء ولكننى كنت أثناء هذه المدة مشغولاً بشئ أكثر أهمية ، فإننى لا أستطيع

أن أنسى تلك السيارة التى تتبعنا .. وكان لابد لى أن أعرف مايدور ، ولكننى لم أستطيع أن أستجوب ماجى ..فلعلها مشتركة فى هذه المؤامرة ، ولعلها غير ذلك ، ومهما يكن فلن تكون هناك أية فائدة فى سؤالها .. أن الأربعمائة دولار التى أخذتها من بارت آكرز فى سلفركنج لم تكن هى السبب لأنهم لو كانوا قد أرادوا استردادها لأظهروا أنيابهم أمس ، وأنا بين أيديهم فى المكتب .. بل الواقع أنهم كانوا حريصين على عدم المطالبة باستردادها .. ورحت أقلب هذه الأفكار فى رأسى ولكننى لم أستطع الأهتداء إلى مفتاح ذلك اللغز ، ولم أعرف إذا كان الذين يتعقبوننى من جانب ويرث أم من جانب بارت آكرز .

وامتدت مدينة موجيف أمامنا .. وقلت :

– سوف نستريح قليلاً ياماجى .. يمكنك أن تذهبى وتتناولى مرطباً ريثما أتزود بالوقود .. وسأدعك تقومين بالمراقبة بدورك .

هزت رأسها .. ولكن لم تكن بى أية رغبة هذه المرة فى أن أترك أصحابنا الذين يتبعوننا يتعرضون للحر .

وحرصت هذه المرة على أن أجعلهم يتغلغلون داخل المدينة .

اجتزت ضواحى موجيف وقطعت الطريق القصير حتى نهايته قبل أن أتوقف عند محطة الخدمة .. ونظرت إلى المرآة العاكسة .. كانت السيارة الأخرى تبعد عنا بيتايتين ، أمام محطة أخرى للخدمة فى الناحية الأخرى من الشارع .. كان سائقها يستطيع أن يراقبنى من مكانه هذا .. وانتظرت حتى عادت ماجى ، ثم هبطت ودرت بالمحطة واتجهت إلى المكان المكتوب عليه " للرجال " ، ولكننى لم أدخل بل ظللت أمشى ، وما أن أصبحت بعيداً

بحيث لاتستطيع ماجى أن ترانى حتى انعطفت إلى شارع صغير مواز للطريق العام وقطعته جرياً .. وبعد شارعين آخرين انعطفت يساراً ودلفت إلى الشارع الذى يؤدى إلى الطريق العام وأنا أسائل نفسى من سأرى .. رجال آكرز أم رجال ويرث ؟

وعندما رأيت السيارة الكبيرة تقدمت قليلاً إلى أن تمكنت من رؤية الرجل الجالس أمام عجلة القيادة .

كان هو زميل جيك ويرث ، ذلك المدعو جو والذى كان يرتدى البدلة التويد واستدرت لكى أشعل سيجارة وأفكر .. لقد احتجزنى ويرث بسبب لاأدريه ولم يذكره لى .. قال إنه لم يكن مستعداً لتفريغ حمولة الكاميون بعد الظهر يوم السبت .. ولم يكن مستعداً لذلك صباح يوم الأحد أيضاً ، ومع ذلك فقد سمح لى بالرحيل يوم الأحد .. بل إنه كاد أن يعانقنى وهو يودعنى .

وأطلقت نفساً من الدخان مرة أخرى .. ورأيت فارنى يصعد إلى العربة بجوار جو .

وعدت إلى سيارتى من نفس الطريق .. جو .

وفارنى معاً .. معنى هذا أن ويرث وآكرز يسيران كل منهما فى يد الآخر .. كان ويرث يستطيع أن يقول " أضف كل هذا على الحساب " ويمضى .. كان يشترك فى ملكية سلفركنج طبعاً ، ذلك إذا لم يكن هو صاحب الملهى الفعلى .

ولكن هذا يضع ماجى فى قلب المؤامرة .. لقد استطاعوا خداعى تماماً لعبة الورق المغشوش والمشهد الكبير مع مات برادى وهو يحاول أن يقوم

بدور البطولة ويتلقى ضربة شديدة على نافوخه .

وأثناء كل هذا الوقت كانت الشقراء تغمز لى .. لم يكن كل ذلك إلا لعبة مرسومة .

لم يكن من العسير أن أفهم الأمر الآن .. لقد احتجزونى ويرث فى رينو مايكفى من الوقت لكى يوجهنى نحو الشقراء .

وبخدعة بسيطة بواسطة لعب الورق ، وإذا بالشقراء تطرد من المدينة ، ولكن ليس قبل أن تمهد الطريق وتحدثنى عن أختها المقيمة بلوس انجلوس .. وحتى إذا لم أكن قد عرضت عليها أن ترافقنى لدبرت هى أمرها لكى أعرض عليها ذلك بأية طريقة .

– ولكن لماذا ؟

لماذا يتنازل جيك وبارت آكرز عن أربعمائة دولار لسائق سيارة نقل ثم يسمحان له بعد ذلك بالمضى إلى لوس أنجلوس .. لقد كانت سيارة النقل فارغة ، فقد فتحت أبوابها للتفتيش عند حدود الولاية .. لم يكن هناك إلا الفتاة وحوائجها الخاصة .. كان فى مقدورها أن تركب القطار أو أن تستقل السيارة التى تتبعنا .

لماذا لم ينقل جو وفارنى الفتاة والحقيبتين فى سيارتهما ورحت أفكر ، وأشعلت سيجارة أخرى .. كلما أمعنت الروية والتفكير لم أجد أمامى غير جواب واحد وهو أن الشئ الذى أنقله كان من الخطر تداوله .

كان فى مقدور الرجلين أن يتبعانا للمراقبة .. ولكنهما كانا لايريدان أن يلقى البوليس القبض عليهما ، وهذا ماجعلنى أحتفظ بشك معقول فيما

يتعلق بالشقراء .

إذا كان قد رفضا أن ينقلا البضاعة إلى لوس أنجلوس فلم يكن هناك أى سبب يدعوها هى لأن تقبل ذلك .

ولكن لعل ماجى غير متورطة فى الأمر إلا إلى حد معين .. هذا ماكنت أريد أن أعتقده ، لأننى كنت متأكداً جداً من تلك الشرارة التى تولدت بيننا متأكداً إلى حد بعيد .. وعندما عدت وجلست مكانى ، أمام عجلة القيادة ، قبل أن أخرج من مدينة موجيف مع السيارة التى تتبعنا حدقت فى وجه ماجى طويلاً وفى اصرار .

كنت لاأزال شديد الرغبة فى أن أصدق أنه لادخل لها فى هذه المؤامرة .

وخلال المائة كيلومتر الأخيرة حاولت أن أبتسم مدة طويلة .. ولا ريب .. إننى أفلحت فى ذلك لأنه لم يبد على ماجى أنها لاحظت أننى اكتشفت المؤامرة .. وبدأت أقول لنفسى أنها ربما تعرف أقل مما أعرفه ، وقررت أن أكتشف السر .

– هل يضايقك أن تقف دقيقة يامات ؟ أريد أن أشترى بعض أقراص الأسبرين وأن أبحث عن رقم تليفون أختى فى الدليل فى نفس الوقت لكى أقول لها إننى قادمة .. ألا ترى ذلك ؟

قلت وعلى شفتى ابتسامة :

– طبعاً .

ولكننى كنت على استعداد للتحقق من ذلك الأمر هذه المرة .. ووقفت بجوار الرصيف وصاحت تقول فى مرح :

- لن أغيب أكثر من لحظة

وكانت هناك صيدلية على مقربة فدخلتها ، ولكنها خرجت حتى قبل أن نتمكن من القاء نظرة فى المكان وقالت

- ليس لديهم دليل تليفون لوس أنجلوس يامات

لابد لى من البحث عن صيدلية أخرى فى آخر الشارع .

هززت رأسى ، وما أن أبتعدت حتى دنوت من باب السيارة وقربت وجهى من المرآة العاكسة بقدر مااستطعت ، وبذلك اتسع مجال الرؤية أمامى واستطعت أن أرى الشارع كله ، كما لو كنت أطل من النافذة ، مع الفارق بأنى لم أخرج رأسى من النافذة

وابتعدت الشقراء مسرعة ، وبعد نحو مائتى متر إلى الخلف ترددت وألقت حولها نظرة يقظة .. وخيل لى أنها هزت رأسها ولكننى لم أكن واثقاً .. ثم دخلت الصيدلية

وفى مكان بعيد انفتح باب السيارة واجتاز رجل الشارع ودخل الصيدلية ، خلف ماجى . واستطعت أن أراه فى وضوح على ضوء أحد المصابيح .. وتبددت شكوكى الأخيرة ، فقد ذهبت الشقراء للقاء جو ، زميل جيك ويرث :

رحت أنقر بأصابعى على عجلة القيادة وانتظرت عودتها .. وكنت قد فكرت فى الأحداث الأخيرة أثناء انتظارى .. كان هناك شئ مؤكد .. لم يكن هناك أى شك الآن . كل ماأستطيع أن أفعله لكى أدمر مؤامراتهم هذه لم يكن إلاعدلاً . وتحسست الحقيبة خلفى ولكن القفل لم ينفتح .. كنت بحاجة إلى المفتاح ، ولكن ماجى لن تتخلى عن حقيبتها أبداً .. ومع ذلك فقد كان

لابد لى أن أعرف ماالذى يوجد فى الحقيبة .. كان يجب أن أتدبر لكى تهبط ماجى من السيارة من غير أن تأخذ حقيبتها معها .. وفكرت فى هذه المسألة ، ثم هبطت من السيارة ومضيت إلى العجلات الخلفية ، وجثوت فوق الرصيف لكى ألقى نظرة تحت الكاميون .. وبقيت هكذا حتى عادت ماجى .

– هل هناك شئ على غير مايرام يامات ؟

لم أرفع رأسى ، بل دسست يدى تحت الكاميون وتحسست الأنبوبة المتصلة بالفرامل .

– ماذا حدث يامات ؟

– أنبوبة تفريغ الهواء .. أظن أنها مسدودة .. لاأستطيع أن أستخدم الفرامل وهى كذلك .

وتحسست الأنبوبة عندئذ للمرة الثانية وقلت :

– ربما تتحرك الآن وأخذ كل منا مكانه .. وانتظرت حتى جلست تماماً وألقت حقيبتها خلفها ثم وضعت يدى تحت اللوحة وتظاهرت بأننى أعالج شيئاً وهمياً وقلت :

– لا يوجد هواء .

ونظرت إليها وأنا أتكلم .. واستطعت أن أرى امارات القلق ترتسم على وجهها .. ورفعت يدها إلى شعرها الطويل الأشقر ، وخيل لى أنها تحاول أن ترى شيئاً مما يدور خلفنا فى المرآة العاكسة .

– ماجى .. هل رأيت تلك الأنبوبة التى لمستها تحت العجلة الخلفية ؟

"وأومأت برأسها بالإيجاب " اهبطى وانظرى إليها .. وإذا رأيتها تتحرك

فمعنى هذا أن الأمر أصبح على مايرام .. ستتحرك قليلاً كخرطوم الماء عندما يبدأ الماء يسرى به .. هل تفهمين ؟

– نعم يامات .. ولكن ؟ .

قاطعتها أقول :

– ليس هذا شيئاً على الأطلاق .. سأعالجه فى لحظة وسترين الأنبوبة تهتز .. وعندئذ نستطيع أن نستأنف رحلتنا .

هبطت من السيارة ومضت إلى الخلف .. وصحت بها عندئذ :

انظرى جيداً .

– حسناً يامات .

قلت وأنا أمسك حقيبتها :

لاتتحركى .

أجابتنى وأنا أفتش الحقيبة على عجل :

– كلا .. لم أجد المفتاح ولكننى وجدت مسدساً بدله ، وصحت :

–هل تحركت الآن ؟

أجابت :

– كلا يامات .

– استمرى فى المراقبة .

وفحصت المسدس .. كان صغيراً من عيار ٢٥ من ذلك النوع الذى

يوضع فى الجيب ولكنه فعال فى المدى القصير .. ومقصورة الكاميون ليست مكاناً رحباً ، ولم أكن أستطيع أن أسمح بشئ كهذا .. وأفرغت مابه من رصاصات ووضعتها فى جيبى ثم أعدته إلى الحقيبة .. وعندئذ فقط رأيت المفتاح .

وأنحنيت فوق الحقيبتين على الفور .. وكانت ماجى قد وضعت جهاز الراديو الصغير بجوار النافذة الخلفية فألقيته على الأرض ، وأدخلت المفتاح فى القفل ورفعت الغطاء .

أوراق مالية .. أوراق كثيرة فى رزم ملفوفة بشرائط من الورق كانت كلها من فئة العشرين دولاراً .. ولم أجرؤ أن أتصور مقدار المبلغ الموجود فى الحقيبة .

وبحركه لاأرادية تحسست بيدى الورق الأخضر الأملس لم يكن هناك أى داع لكى أفتح الحقيبة الأخرى .. فقد كان تحت عينى ما يكفى من نقود لكى أتأكد أن سائق سيارة نقل سيجد حتفه قتلاً فى اللحظة المناسبة .. ليس هناك أى شك هذه المرة يابرادى ، فإنك جالس تحت قنبلة لن تلبث أن تنفجر .

وأغلقت الحقيبة بحركة جافة ، وأخذت جهاز الراديو المكسو بالجلد لكى أعيده مكانه ولكن أنبوبة به لفتت نظرى إليه .

لم يصدر من هذا الجهاز أيه موسيقى أو أية أغنية .. ومن جديد حاولت اكتساب بعض الوقت فقلت :

– قد تتحرك الآن .. انظرى جيداً .

كم من الوقت سيستغرق ذلك منك يامات ؟

أجبت لاتقلقي امكثي حيث أنت

قلبت الراديو بين يدى على عجل ، ورفعت غطاءه الخلفى .. ولكن الجهاز الذى طالعنى لم يكن جهاز راديو وإنما كان عبارة عن جهاز إرسال وأستقبال وكنت قد رأيت مثله كثيراً أثناء الحرب .

وعرفت الآن لماذا راحت الشقراء تنطق بأسماء المدن التى اجتزناها بكل عناية وبكل وضوح كانت تصدر تقريرها أولاً بأول كلما بلغت السيارة مكاناً ما

والرجلان اللذان يتبعاننا ماكان فى مقدورهما أن يفقدا أثرنا حتى إذا أرادا ولا حتى أثناء الليل

وكان فى استطاعتى الاستغناء عن هذا الجهاز أيضاً فرفعت أنبوبة الاستقبال ووضعتها فى جيبى ثم أعدت الغطاء كما كان ووضعت الراديو مكانه ودست على الفرامل فقال :

- مات لقد تحركت الأنبوبة .

صحت بها

- تعالى ياماجى سنستطيع استئناف رحلتنا الآن . ولكننا لم ننطلق على الفور فلم أكن أعرف ماذا أفعل بالضبط .. كان لابد من التفكير .. وقلت وأنا أنظر إلى اللوحة

- لابد من تجديد بعض الهواء

وكان هذا أمرا ضرورى طبعاً . ولكنى كنت بحاجة إلى الوقت وقد

أدركت الآن أن كل الأوراق المالية التى معى فى المقصورة لم تخرج من المطابع الحكومية أبداً ولم يكن هناك غير سبب واحد لكى لايركب ويرث نفس السيارة التى تنقل النقود إلى لوس أنجلوس . وهذا السبب هو عشرون سنة سجناً . وعدت أفكر فى اللوحات المعلقة لصق الجدران كان ويرث فناناً من الدرجة الأولى . ولم يكن هناك أى شك فى ذلك كانت المسألة واضحة تماماً أنه رسم اللوحات وطبع الأوراق المالية المزيفة .. مليون دولار .. أو مليونان وماأهمية ذلك الآن ؟ أنه ألقى يده على الغبى مات برادى لكى ينقل النقود حتى مركز التوزيع وسيقوم برادى بهذا العمل نظير أربعمائة دولار وابتسامة وربما ثقب فى رأسه

اتخذت قراراً حاسماً ، وهو أن أتخلص من الحرس عندما يأتى الوقت المناسب لاستجواب ماجى . وكانت حركة المرور على أشدها عندما أستأنفنا المسير .. وانطلقنا فى هدوء ، مطيعاً أشارات المرور منتظراً الفرصة المناسبة وكانت السيارة التى تتبعنا تتقدم بين رتل من السيارات . تبعد عنا بنحو ثلاثين أو أربعين متراً

وانهارت ماجى عندئذ انهارت كما لو كانت طالبة تخلى عنها صاحبها فى أول ليلة راقصة لها .. كانت السيارة الكاميون تنساب بنا فى هدوء عندما ألقت بنفسها على وطوقتنى وغرزت أصابعها فى لحم عنقى .

وأحسست برعشة تسرى فى كيانها كله وراحت تبكى فى هستيرية ، وأغرورقت عيناها بالدموع ، واختلجت شفتاها الحمراوان المتألقتان وفتحتهما نصف فتحة ، ولكن لم تخرج منهما كلمة واحدة لاشئ إلا النحيب الذى يقطع نياط القلب وهى متعلقة بى واحتويتها بين دراعى

وحاولت تهدئتها ، ولكن بدون أى حماس ، فقد خيل لى أنها جزء جديد من لعبة تريد أن تدير بها رأس برادى

ولكن لو أنها كانت تقوم بتمثيلية حقاً فإنها كانت تضيع وقتها بكل تأكيد وإن كانت هذه التمثيلية تضعها فى مصاف ممثلات الدرجة الأولى وعندما هدأت قليلاً داعبت شعرها قائلاً :

– هل أنت أحسن الآن ؟

– نعم يامات .

قلت فى هدوء :

– ربما يكون من الأفضل أن تخبرينى ماذا دهاك ؟

– مرة أخرى سأخبرك بذلك مرة أخرى يامات .. ولكننا اقتربنا جداً الآن وأستطيع من هنا أن أستقل سيارة أخرى تقلنى إلى بيت أختى .. وإذا سمحت بأن أهبط يامات

قلت مبتسماً

– سوف نتكلم فى ذلك ياماجى .

وأوقفتنا شارة حمراء ، وما أن تغيرت حتى انطلقت مسرعاً وابتعدت تاركاً السيارة السوداء فى شارع تكدست فيه السيارات ، الواحدة خلف الأخرى .. ودلفت إلى أول منعطف ومنه إلى منعطفات أخرى ، وبلغت طريق فيكتورى .

وقرأت ماجى اسم الشارع فى صوت مسموع واضح : طريق فيكتورى .

قلت فى نفسى

اصرخى فى الجهاز الآن ماشاء لك الصراخ

وسألتنى تقول :

– لماذا عرجنا على الطريق فيكتورى يا مات ؟

قلت فى حدة :

–أننا نتخلص من الصغيرين اللذين خلفنا ياماجى لاأدرى مالذى يدور ، ولكننا نستطيع أن نستغنى عن جو وفارنى تماماً .

– ماذا ؟

– أسمعى يا ماجى .. إننا ذهبنا إلى الحفلة الراقصة ولكن الحفلة أنتهت الآن .. إننا فى منتصف الليل وآن لسندريلا أن تخلع حذاءها .. أكشفى القناع ياماجى .. لقد كان برادى أكثر من غبى أثناء عطلة الأسبوع ، ولكن الأمور تغيرت الآن .

– مات .. إننى لا أفهم .

– بل تفهمين جيداً ياماجى . أنك متورطة فى هذه المسألة حتى عنقك وقد قمت بدورك على أكمل وجه لعبة الورق المغشوش وتلك التمثيلية مع بارت آكرز ، ولقائك بجو فى صيدلية سان فرناندو .

أمسكت حقيبتها وعالجت سحابتها .. ورأيت أن الأمر لن يكون ظريفاً وفى يدها مسدس فارغ .. سوف أضحك فى وجهها .. ولكنها لم تلبث أن أغلقت حقيبتها فقد توقفنا أمام أشارة للمرور ووقفت سيارة أجرة بجوارنا وانفتح بابها ثم انصفق فى عنف ووثب فارنى فوق سلم سيارتى وفتح الباب

ودخل بجوار ماجى وهو يقول

- لا تحاول أى شئ يابرادى

وأخرج مسدساً عيار ٤٥ وضعه على ركبته ، مصوباً فوهته نحوى ثم غطاه بمنديله وقال :

- الإشارة خضراء الآن يابرادى ، فانطلق وليكن معلوماً أنه عند أية محاولة من ناحيتك سينقص عدد سائقى سيارات النقل واحداً .ثم تحول إلى الشقراء وقال .

- هل قلت أكثر من اللازم ؟

- لم أقل أى شئ . لم

- اطبقى فمك أنن .. سوف نأخذ طريق ريفر سايد درايف يابرادى ، ثم ننعطف إلى لوس فيلكس .. وهناك سأرشدك إلى الطريق .. ولا تحاول أى شئ عندما تقف .

سألته ماجى لماذا يأتى معنا فقال أننى عندما أسرعت فجأة لكى أفلت منهما افترق عن جو ، وأنهما تقاسما الطريقين الرئيسين ، هو فى سيارة أجرة وجو فى السيارة الكبيرة السوداء .. ولم نتبادل كلمة واحدة بعد ذلك .. وراحت ماجى وحدها تنطق بأسماء الشوارع التى نمر بها فى صوت مرتفع لأنها اعتادت على ذلك .. بلغنا هوليود كنمور أخيراً ، على مقربة من فرانكلين .

وكانت السيارة السوداء الكبيرة واقفة بجوار الرصيف ، عندما توقفنا أخيراً . وقال فارنى على الفور .

– أبق مكانك ولا تتحرك .. سننتظر حتى يأتى جون من ناحيتك قبل أن تهبط .

لم أتكلم بسبب المسدس الذى فى يده ، فقد كان مسدساً شديد الخطر

وعندما نادانى جو هبطت .. وانفتح باب بيت كبير فأرسل شعاعاً من نور أصفر على المرجة ، وخرج رجل وامرأة ، متقدمان فى السن وأقبلا لملاقاتنا فى هدوء .. وقال جو :

– سأهتم أنا بالنقود .

أما فارنى فقد احتفظ بيده فى جيبه .. وبدا من مظهره كأنه يريد أن يرحب بى فى البيت وأن يرافقنى إلى الداخل .

والتقينا بالرجل والمرأة فى منتصف الطريق . كانا مجرد مواطنين ثريين .. كان الرجل يبدو كما لو كان من رجال الأعمال .. أو كزعيم من هؤلاء الزعماء الذين نراهم على شاشة السينما ، فقد كان لحيم الوجه ، متورد اللون ، ويلبس قميصاً رياضياً صارخ الألوان مطبوعاً بزخارف كبيرة وكان يخطو نحو الستين .أما زوجته ، إذا كانت زوجته حقاً ، فقد تأبطت بذراعها ذراع ماجى ، ولكن عينيها الحادتين استقرتا على الحقيبة التى يحملها جو ، ولم تكن من النوع الثرثار ، فلم تنطق إلا ببضع كلمات كانت هى الوحيدة التى صدرت منها فى تلك الليلة .. وقد تكلمت فى صوت حاد مرتفع بحيث سمعها الجيران من الجانبين : قالت :

– هل قمت برحلة طيبة يا عزيزتى ؟

أجابت ماجى وهى تحنى رأسها :

- نعم كانت رحلة ممتعة جدا

كنا ضيفين صيفين إذا اتفق وسمعنا الجيران أو رأونا . نعم ، كنا في زيارة ، وذلك حتى اللحظة التى دلفنا فيها إلى غرفة معيشة فاخرة وأغلق الباب خلفنا

وصاح الرجل يقول عندئذ : ماذا حدث بحق الشيطان ؟ .. ومن هذا الرجل ؟.. ومن الذى قال لكما أن تأتيا به .

أجابه فارنى :

– لا داعى للأنفعال ياكاين .. إنها ليست فكرتنا .. ولكن برادى هو الذى كان يسوق الكاميون .

وقد رابه الأمر ، ولا أدرى كيف .. وكان لابد أن نأتى به .

قلت محاولا المزاح .

– إذا لم يكن هناك داع لوجودى فإننى أستطيع الانصراف .

رمانى كين بنظرة سوداء ، ثم حول اهتمامه إلى السجادة الرقيقة حيث استقرت الحقيبة .. وفتحت ماجى حقيبتها وألقت إليه بالمفتاح .. وألقيت نظرة سريعة إلى فارنى ، ولكنه لم يكن ينظر إلى النقود وإنما كان يحدق فى وعندما سقط الضوء على البضاعة لانت ملامح كاين وحك فكه فى تفكير ثم أخذ رزمة لكى يفحصها عن كثب ثم قال فى صوت هادئ :

– عمل جميل .. أن ويرث يتقن عمله إلى أقصى درجة وانحنيت ولمست رزم النقود المزيفة المعروضة أمامنا .. وأعاد كاين الرزمة مكانها ثم أغلق الحقيبة وتحول إلى .. وفحصتنى عيناه مدة طويلة فى حين بقى وجهه جامداً

ثم قال

- سنعقد اجتماعاً عملياً صغيراً يامستر

- برادى .

- أجل يامستر برادي .. يجب أن نحدد المبلغ الذى لابد أن ندفعه لك لكى نضمن صمتك .

وأشار إلى زوجته واختفى من باب فى الناحية الأخرى من الغرفة وأشارت زوجته بدورها إلى ماجى وجو لكى يتبعاها .. وانتظرنا فى صمت حتى عادوا .. وقال كاين .

- إننا قررنا أن ندفع لك ألفى دولار يامستر برادى .. وبأضافة هذا إلى المبلغ الذى حصلت عليه فى سلفركنج يكون الصافى نحو ألفين وخمسمائة دولار .

قلت فى أقتناع :

- مبلغ لا بأس به نظير شراء حصة من الصمت أعيدوا المسدس إذن

- لا تتعجل هكذا ، فأنت لن تكون شريكاً لنا طالما لم تحصل على النقود بعد ولا نستطيع أن نقدم على أية مجازفة طالما لم تبتل مثلنا تماماً .. ولكن ماأن تحصل على النقود حتى ترتد الكلمات التى قد تنطق بها ضدك .. هل تفهم ماأعنيه ؟ " وهززت رأسى " سيركب فارنى وجو السيارة الكاميون معك .. وسنقدم لك نقوداً حقيقية طبعاً ، ولكن لابد أن تمضى إلى العربة لأن النقود هناك .. وتستطيع أن تستأنف رحلتك بعد ذلك .

كان هذا كل شئ كانوا لا يشترون صمتى بالنقود ، لأنهم فى مكان ما

سيعطوبى نصيبى - ولكن ليس بالمال السائل وإنما برصاصة لأنها هى الصمام الوحيد لكى لا يتدخل مات برادى ويهدم خططهم ونظرت إلى ماجى بليك . العروس الشقراء . الطعم الذى جرنى إلى هذه العملية .. والتقت نظرتى بنظرتها . وشعرت عندئذ بأن هناك شيئاً غريباً .. غير طبيعى .. فلم تكن بادية الحماس أبداً .. كان فى عينيها ذعر .. ذعر وشئ آخر .. شئ لم أكن واثقاً منه . وفتحت حقيبتها اليدوية ورفعت رأسها فجأة وقالت :

– أنتظروا .. إن الورقة المكتوب عليها عنوانكم معه هو ..

أوقفتهم هذه العبارة .. ودست ماجى يدها فى الحقيبة من جديد ثم تقدمت نحوى فى عمد وفى بطء ، وقد حصرت اهتمامها كله فى حقيبتها ، وقالت .

– لا نستطيع أن نجازف ونترك هذه الورقة فى جيبه .. فقد تسبب لنا بعض المتاعب .. إننى أعطيتها له بعد أن أخذتها من فارنى و..

وتطلع كاين إليها وهى تبحث فى حقيبتها من جديد .. ولكنها حين وجدت نفسها فى مستوى فارنى ضربت بيدها المسدس الذى يمسكه فى يده فحولت بذلك فوهته عنى ، وسقطت الحقيبة فى الأرض ، ولكنها كانت قد تمكنت من إخراج مسدسها منها قبل ذلك وضغطت بفوهته فى جنب فارنى وقالت فى صوت قاس النبرات :

– ألق المسدس من يدك .. لا يتحرك أحد منكم .

ولم يكن هناك نفس ولا صوت حتى اللحظة التى وقع فيها مسدس فارنى على الأرض فى صوت مكتوم .. وسيطرت الشقراء على الموقف ، ولكن

بمسدس فارغ .. كنت أنا وحدى أعرف أن الرصاصات التى كانت به فى جيبى .

وكان كاين أول من أسترد جاشه فصاح يقول

– ماجى .. هل أنت مجنونة ؟ . لا يمكن أن تفلحى فى السطو علينا .. إننا ..

قالت فى صوت ثابت قاطع :

– إن البيت محاصر من كل ناحية ، وإذا تحرك أحد فسوف أطلق عليه النار .. وفارنى الأول .. أنك

قال كاين وقد غاض اللون من وجهه

– هذه خدعة ..

وانطلق الشرر من عينيه واهتز فكه وقال :

– إن جو وفارنى لم يكفا عن مراقبة الطريق خلال الأثنى عشر أو الخمسة عشر كيلو متراً لكى يتأكدا أن ليس هناك من يتبعكما . ثم أن فارنى لم يعطك العنوان إلا فى سان فرناندو . وهو آخر مكان توقفتما فيه ومن هذا يتضح أنك لم تتمكنى من الأتصال بأى أحد

– بل اتصلت .

كانت واثقة من نفسها الآن ، وراحت تتصرف كرجل المخابرات الذى يظل خائفاً حتى لحظة الصفر ، والذى يشعر فجأة بالرمل تحت قدميه ، وعندئذ يقدم على العمل الروتينى العادى وليتم مايقع .. وقالت

كنت فى كل مدينة وعند كل تقاطع أرشدهم إلى الطريق الذى نتبعه بواسطة جهاز إرسال وأستقبال صغير معى إنكم أفلحتم منذ سنتين وأدخلتم نقوداً مزيفة فى هذه المدينة وقتلتم الرجل الذى جاءكم بالنقود .

ولكن أقتفاء الأثر هذه المرة كان فى المقدمة يامستر كاين ، وكنت أدلهم على الطريق أولاً بأول بواسطة جهاز الأرسال ، ومن هذا ترى أن الأمر لم يكن معقداً ورأيت نظرة القلق التى ارتسمت فى عينيها .. كانت تنتظر النجدة من لحظة لأخرى والظاهر أنها كانت تفكر فى أنها كان يجب أن تصل وكانت مصممة على الصمود حتى تأتى . وقلت فى نفسى أن هذا رائع فيما عدا أن المسدس الذى تمسكه فى يدها كان عديم الجدوى تماماً وأن المعلومات التى تتكلم عنها لم تصل عن طريق جهاز الأرسال ابتداء من سان فرناندو لأننى رفعت الصمام بحيث أصبح الجهاز ميتاً ، ولن يأتى أى أحد لنجدتها

وبان التوتر على كل الوجوه وألقيت نظرة إلى مسدس فارنى الذى وقع على الأرض وفى هذه اللحظة بالذات أحسست بحركة بيديها جو نحو جيبه ، فاندفعت أمسك بالمسدس فى نفس اللحظة التى طقطق فيها مسدس ماجى وشهقت هذه الأخيرة فى دهشة

واندفع فارنى نحوى باسطاً ذراعه نحو مسدسه ولكننى كنت قد أطبقت بيدى عليه . ودوى مسدس آخر فأطلقت طلقتين متتابعتين ، ورأيت جو يترنح إلى الأمام ويتلوى .. وقبل أن أتمكن من تصويب المسدس نحو فارنى كان هذا قد انبطح على الأرض وبسط ذراعه فى يأس يطلب العفو .. وحاولت أن أعتمد على ركبتى ونظرت حولى . كان كاين قد ألقى بنفسه

فوق الأرض ويحاول أن يتضاءل فى حين احتفت روجته الصامتة ولكننى لم أعبأ بها . وكانت الشقراء جاثية بجوارى ومسدسها الذى لافائدة منه فى يدها الصغيرة . وفى مكان تحطمت نافذة وصرخت امرأة ثم تطاير الزجاج الذى خلفى شظايا وبرز مسدس من الظلام . وصاح صوت قوى يقول فى لهجة أمرأة

– قفوا .. لاتتحركوا . أنتم مقبوض عليكم

ودخل المسكن الصغير ستة رجال .. وسرعان ماوجد كاين وزوجته نفسيهما تحت حراسة رجلين شديدى البأس . وجمعت الأصفاد بين يد كاين ويد فارنى

قلت وأنا أتحول إلى ماجى بليك

– هل هناك جدوى من أن أسألك عن الدور الدى تقومين به فى هده المسألة العجيبة ؟ هل أستطيع أن أنتظر رداً صريحاً هذه المرة ؟ .

– طبعاً يامات . منذ الآن وإلى الأبد

وكانت تتكلم فى لهجة حاولت أن تبدو مقنعة . وكانت حقيبتها المفتوحة لاتزال فوق الأرض بجوار أحمر الشفاه وعلبة المسحوق المقلوبة . وقالت وهى تشير إليها برأسها

– أنزع البطانة

وكان الجلد من عند المقبض رخواً فانترعته . ورأيت بطاقة مطوية طيتين لم يسبق أن رأيت مثيلاً لها أبداً . ولكننى قرأت عليها هذه الكلمات " وزارة المالية – قلم المخابرات " وبضعة توقيعات لاناس لم أسمع عنهم أبداً

ولكننى عرفت الصورة وقلت :

- لاريب أنها عصابة أخرى .

قالت :

- انتهت العصابات يامات .. سأكون صريحة معك من الآن إلى الأبد .

وأقبل نحونا رجل طويل القامة ذو وجه نحيل مكدود ، كان يبدو مهموماً كالكولونيل الذى يمضى إلى مهمة قذرة .. ووقف أمامنا وقال :

- ماذا حدث ياماجى ؟

قالت فى أكتئاب :

- المسدس .. سار كل شئ على مايرام ، ولكن عندما ضغطت على الزناد لم تنطلق الرصاصة .

وسكتت إذ رأتنى أضع يدى فوق يدها وأفتح أصابعى وأسقط الرصاصات فى راحتها .

قال الرجل :

- ولكننى لاأتكلم عن مسدسك .. لماذا لم تستمرى فى أصدار أرشاداتك عن الطريق الذى سلكتموه .. أننا لم نسمع شيئاً ابتداء من سان فرناندو .

وقد أضطررنا أن نتصل بالتليفون وأن نستدعى كل سيارات النجدة بلوس أنجلوس .. ولو أنهم لم يهتدوا إلى الكاميون لما عثرنا عليكما أبداً .. لاريب أن هذا الجهاز اللعين قد توقف .

وكان معى شئ له هو أيضاً ، ودسست يدى فى جيبه وأعطيته الصمام

الصغير .. وراح يديره في يديه المعروقتين .. وسألني أخيراً .

– منذ متى وهو معك ؟

قلت وأنا أبتسم : منذ بيشوب .. لاحظت هناك لأول مرة السيارة التي تتبعنا .. أما الباقي فقد أهتديت إليه في سان فرناندو ، بينما كانت الآنسة ماجي تضيع وقتها في مراقبة العجلة الخلفية لسيارتي .

وتحاشيت ركلة قوية من قدمها .. وقال الرجل الطويل القامة :

• أننا نتعقبهم منذ أكثر من سنة .. إن ويرث ماكر وخبيث جداً ، لا يجيد رسم اللوحات الفنية فحسب ولكنه يعرف كذلك كيف يرسم الخطط وكيف ينتهز الفرصة .. أنه لا يرسم خططه مسبقاً أبداً ولهذا لم نستطع الاهتداء إلى مرشد لكي ننصب له كميناً ، فهذا أمر لا يفلح مع ويرث ، فهو ينتظر حتى يجد شيئاً جديداً ثم يتحرك فجأة ويرسل النقود قبل أن نتمكن من تدبير أمورنا .. ولم يفكر في استخداعك طبعاً إلا بعد .. قاطعته أقول :

– كلا لم يدبر شيئاً مسبقاً ، فقد أصدر أوامره لتفريغ حمولتي ولكنه لم يلبث أن غير رأيه واختجزني في المدينة .

– طبعاً .. وقد دفعنا بماجي إليه .. ودبرنا بحيث ألحقها بالعمل لديه دون أن يدري عن حقيقتها شيئاً .. وهو رجل لا يثق بأي أحد ، ففي المرة الأخيرة التي أرسل بشحنة من النقود المزيفة قتل الرجل الذي نقلها له .. وسنبعث به إلى الكرسي الكهربي لهذا السبب إذا استطعنا أثبات ذلك .. ومهما يكن فقد ألقينا القبض عليه الليلة في رينو .. أصدرت أمري بالقاء القبض علية ، باللاسلكي بمجرد أن فقدنا الأتصال بكما في سان فرناندو

وسنلقي القبض على آكرر أيضاً

فكرت في الرجل الذي قام بالرحلة السابقة والذي قتلوه . وفي ماجي التي كانت تعرف ذلك وقبلت الاشتراك في الأمر على الرغم من ذلك وتذكرت ذلك الانهيار الذي تملكها لبضع دقائق بعد مغادرتنا لسان فرناندو وأدركت كل شئ ويحثت يدى عن يدها

وألقى الرجل الطويل القامة أصابعه المعروقة على كتفي ماجي وقال وهو يبتسم

- إنك عانيت توتراً شديداً أيتها السيدة الصغيرة وقد حجزنا لك شقة في فندق بلتيمور .. ويمكنك أن تستريحي فيها وتستجمي لبضعة أيام ، وريثما نفرغ من أجراءاتنا القانونية لهذه القضية وسيمضي بك أحد رجالي إليها

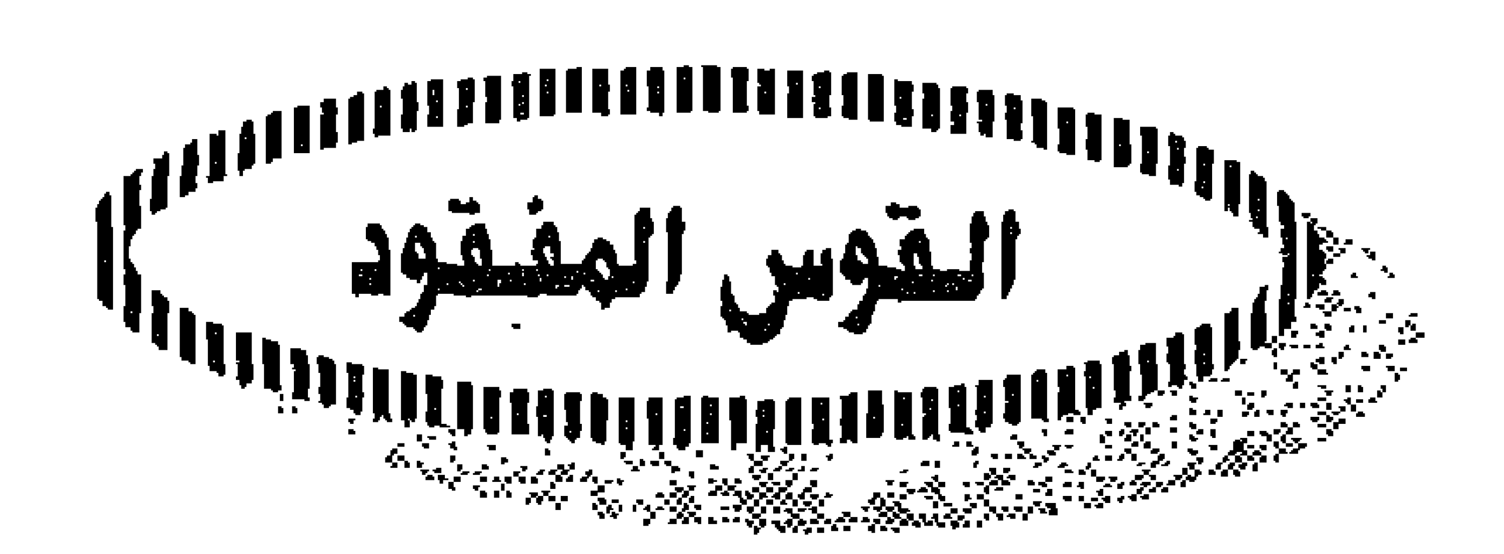
ضغطت أصابع ماجي على أصابعي مرة أو مرتين ، وتلاقت أعيننا ورمتني بأحدى غمزاتها الحلوة التي تعرف سرها فقلت

- أظن إنني سأمضي من هذه الناحية أنا الآخر

أسرعت تقول للرجل الطويل القامة عندئذ

- أشكرك أيها الرئيس .. ولكنني سأدع مات يمضي بي إلى هناك ، فقد بدأت أحب سيارات النقل ، فهي .. إنها

ابتسم الرجل عندئذ وهز ذراعه مودعاً وانصرف .. وخرجنا إلى رطوبة المساء ومضينا إلى سيارتي ، و اجأنا شعاع من القمر وألقى بظل على الجدار . ظل واحد . فقد كان كل منا ملتصقاً بالآخر بحيث اكتفينا بهذا الظل



رمى السهام فن عظيم استخدمه الهواه والمحترفين كثيراً ولكن مما لا جدال فيه أنه ما من أحد عرف كيف يستخدمه لكى يصل إلى هدفه كصاحبنا هذا

قال المفتش بلاك :

– هل يستطيع رجل له ذراع واحدة وساقان مريضتان أن يطلق سهماً لكى يقتل به شخصاً ؟ ... سؤال غريب يا سيدى والجواب عليه نعم وضع قدمه داخل القوس وشد الوتر بيده وأطلق السهم والواقع أن رماه السهام استخدموا هذه الطريقة فى الماضى .

نظر البروفسير أولبس برايس ميدلباى ، استاذ التاريخ وفلسفة العلوم السابق والمستشار ، الجنائى حالياً إلى المفتش بلاك نظرة غريبة وقال .

– إذا كان الأمر كذلك فما هى مشكلتك ؟

– مشكلتى هى أن رجلاً بذراع واحدة يمكن أن يطلق سهماً حقاً إذا كان قد تمرن على ذلك

ولكن كيف يمكن أن يختفى القوس فى الهواء .

حدق البروفسير فيه وقال :

– لعل من الأفضل أن تتكلم .

– وددت لو أستطيع . كل ما أعرفه هو أننا لم نجد أي قوس وأنه لم يكن فى مقدوره أن يخفيه .

سكت ميدلباى لحظه ثم قال فجأه :

– فلننس القوس المفقود واذكر لى ما حدث . فإننى لا أستطيع أن أعمل فى الظلام ، من الذى قتل وفيمن تشتبه وما هو الدافع إذا كان هناك دافع .

– القتيل يدعى فيكتور بوردن فى الرابعة والثلاثين من عمره والقاتل الذى اشتبه فيه هو هوارد كول وهو فى الواحدة والأربعين من عمره .. أما الدافع فهو معروف ، فمنذ خمسة عشر شهراً صدم فيكتور سيارة كول ولقيت زوجة كول وابنتها وهى طفلة فى الثانية من عمرها مصرعهما فى الحادث ..

وأما كول فقد فقد ذراعه الأيسر وتشوه نصف جسده السفلى بحيث أصبح يمشى بمشقة كبيرة .

قطب ميلباى جبينه وقال :

– هل تعنى أن بوردن كان مسئولا عن الحادث ؟

– رسمياً لا . أما إذا أردت رأيى الخاص فنعم ، بدون شك .

فقد كان منطلقاً بسرعة كبيرة وكان مخموراً . وكان كول يسير على اليمين . ولكن بوردن يقول أنه حاول أن يتفادى المصادمة إلا أن الفرامل لم

تستجب له وكان يلاقى صعوبة منها منذ أسابيع كثيرة .. وقد أكد الميكانيكى الذى يعمل بالجاراج الذى يضع بوردن فيه سيارته هذه الواقعة ولكنه أصر على أنه أصلحها فى اليوم السابق ولكن محامى بوردن ، وهو محام قدير ... جداً فى المسائل الجنائية أثبت أن الميكانيكى أدين أكثر من مرة بالآهمال فى عمله وأنه سبق أن تقاضى مراراً كثيرة أجراً عن أعمال لم ينجزها بالمرة وكان هذا كافياً لا رباك المحلفين فقد كان معروفاً أن بوردن كان مخموراً ومسرعاً ولكنهم لم يتأكدوا من أمر الفرامل والأمر الذى لم يعرفوه ، وأنا شخصياً لم يتسن لى حضور المحاكمة ، هو أن بوردن كان قد تسبب فى حوادث كثيرة قبل ذلك بسبب أهماله فى القيادة وأن رخصته سحبت منه أكثر من مرة . كان مذنباً كل الذنب .

– ولكنه نجا ؟ ... أطلق سراحه ؟

– كلا . . صدرعليه حكم بالحبس سنه بتهمة القتل غير العمد وأطلق سراحه بعد تسعة أشهر أى منذ نحو أحد عشر شهراً .

– وماذا كانت مهنته أو حرفته ؟

– نصاب حقير .. يحتال فى سبيل الحصول على أي مبلغ من المغفلين فى حدود القانون .

كان يبيع سلعاً غير صالحة للإستعمال أو مخلفات الجيش .

هذا النوع من الرجال .

– وكول ؟

– هذا هو أسوأ ما فى الأمر .. فهو اسمياً يدير محلاً لأدوات الرياضة ولكن عمله الحقيقى هو خبرته فى رمى السهام وقد قام بكل الخدع الخاصة برمى السهام فى أفلام روبين هود الحديثة ولكنه أصبح الآن بذراع واحدة وبساقين متخشبتين وفوق ذلك فقد زوجته وابنته وكان يحبهما كل الحب .

– هل تكلم عن الأنتقام ؟

– لم نسمع شيئاً عن هذا .. فإنه كتوم قليل الكلام .. ثبت البروفيسور عينيه المضيئتين على بلاك وقال :

– إنه لم يهدد أذن ومع ذلك فأنت تشتبه فيه ، فلماذا ؟

– حسناً . إنه فعل كل شيء لكى نشتبه فيه .. اصغ إلى .. كان هناك سائق سياره ... ظل يقوده إلى مسكن بوردن طوال أسبوع فيما بين الساعة السابعة والثامنة كل ليلة وكان يترك السيارة على بعد بضع خطوات من زقاق مسدود وكان السائق يراه وهو يدخل الزقاق ولكنه لم يستطيع أن يرى ماذا يفعل لأن الزقاق كان مظلماً فى نهايته ، ففى هذا الزقاق تقع أبواب خلفية لبعض المتاجر وهى تغلق دائماً فى مثل هذه الساعة خوفاً من اللصوص الذين لا يتورعون عن سرقة كل ما تمتد إليه أيديهم .

وبوردن يقيم فوق آخر متجر بالزقاق ، وفى ليلة الجريمة كان واقفاً فى غرفة الحمام يستعد لكى يحلق ذقنه والواقع آن الصابون كان يغطى وجهه وكان هدفاً ظاهراً والنافذة تعلو عن المتجر بنحو عشرة أقدام وعن مستوى الزقاق بنحو ثلاثين قدما .

حسناً .. أقبل كول فى تلك الليلة بالسيارة كعادتة ودخل الزقاق وهو يعرج

حتى غاب عن الأنظار ويقسم السائق أنه لم يكن معه غير شئ واحد كان يحمله معه دائما وهو جهاز تسجيل صغير ، وسأعود إلى هذا فيما بعد ومهما يكن من أمر فبعد دقائق معدودات من دخول كول الزقاق سمع السائق صرخة ذعر .. صدرت من إمرأة كانت تقيم مع بوردن ثم خرج كول من الزقاق بعد ذلك وهو يعرج .. ويبدو أن امرأة عجوزاً لحظت وقوف السيارة في ذلك المكان كل ليلة طوال الأسبوع المذكور والأعرج يهبط منها ويدخل الزقاق ولم تستطع أعصابها أن تتحمل أكثر من ذلك فاتصلت بالبوليس فى تلك الليلة بالذات .

قال ميدلباى فى تفكير :

– آه .. ذهب كول إلى زقاق مسدود وليس معه أى قوس ثم خرج من الزقاق وليس معه شئ وألقى البوليس القبض عليه فى نفس المكان .

قال بلاك : هو ذلك لم تكن هناك أية فرصة لكى يخفى القوس حتى إذا كان قد تمكن من أخفائه عن السائق .

– ولقى بوردن مصرعه بسهم ؟

– نعم .. سهم له رأس حادة من ذلك النوع الذى يستخدم فى صيد الوعول والغزلان .. وقد شق عمود بوردن الفقرى فوقع وأوقع معه صندوق الأسعافات الطبية وعندئذ صرخت صديقته .

– أظنك فتشت الزقاق بالطبع .

– طبعاً .. كانت كل الأبواب مغلقة .. ولم يكن هناك أى مكان لأخفاء أى

قوس حتى ولو كان صغيراً .

– وهل ثبت أن السهم ملك لكول ؟

عبس بلاك وقال :

– إن لديه مئات الأسهم فى منزله .. فى البيت وفى الجراج .. بعضها ذكريات من الأفلام الأجنبية التى أشترك فيها كيف نستطيع أن نتأكد من سهم مضى عليه أكثر من خمسة وعشرين عاماً .. لنقل فيلم روبين هود الذى مثله ايرول فلين .. أنه سهم له رأس طويلة حادة من تلك التى تستخدم فى الصيد ومعه شئ عجيب .

بدا الأهتمام على وجه ميدلباى وقال :

– وماهو ؟

– كانت هناك قطعة حبل متينة طولها نحو بوصة أو بوصتين فى طرف السهم .

– من وتر القوس ؟

– كلا .. بل مجرد قطعة من حبل وقد قال لى خبير السهام أن هذه القطعة لايمكن أن تطلق سهماً أبداً فإنها تنقطع عند أطلاق السهم مهما كانت قوة الرمية .

قال ميدلباى ببطء :

– أفهم من هذا أنن أنك تعتقد أن كول تمرن أثناء وجود بوردن فى السجن على أطلاق القوس بيد واحدة ثم ذهب إلى مسكن بوردن بعد أطلاق

سراحه وعرف عاداته وتأكد أنه يحلق ذقنه كل يوم فيما بين السابعة والثامنة وإن الغرض من وجود السائق هو أن يشهد بأن كول لم يكن يحمل قوساً معه .. ثم جاءت عربة البوليس وأكدت هذا الأمر .

قال بلاك فى كآبة :

– هو ذلك ومن غير قوس لا نستطيع أن نقدمه إلى المحاكمة .. كان فى مقدوره أن يخفى قوساً صغيراً تحت قميصه ولكن إذا كان هذا قد حدث حقاً فأين هو .

– إنك فتشت الأسطح طبعاً ؟

– نعم .. ليس هناك غير سطحين منخفضين .. أما الأسطح الأخرى فهى تعلو عن الأرض بستة أدوار ولا يستطيع أى شخص أن يلقى شيئاً فوقها ومع ذلك فقد فتشناها تفتيشاً دقيقاً ولم نعثر على شئ .

تمتم البروفيسور :

– وهناك قطعة حبل من السهم .. هل تدرك أن فى هذه القطعة مفتاح القضية ؟.. أن كل شئ لا يتطابق يمكن أن تكون له قيمة كبيرة .. فهل أراد أن يستعيد السهم بعد أن أصاب بوردن مثلاً ؟ .. ولماذا ؟ .. ومهما يكن فليس لكل هذا صلة بالقوس المفقود .

ودارت العينان الرماديتان فى محجريهما ثم نظر إلى بلاك من جديد وقال :

– هل معك نسخة من التقرير الطبى ؟

– نعم وسأتركها معك .

– سأدرسه جيداً .. أنني واثق أن كل البيانات والنقاط موجودة أمامنا وأنها لا تحتاج إلا لعقل ذكي يفندها ويجلوها .. مارأيك فى أن تعود يوم الأربعاء ؟

قال المفتش :

– حسناً .

كان يعلم أن ميدلباى إذا ماشرع فى العمل مستخدماً معرفته وذكاءه فإن هناك على الأقل فرصة لاستجلاء هذه القضية المزعجة وعاد يقول فى شئ من الأمل .

– سأعود يوم الأربعاء إذا مالم تستدعنى قبل ذلك .. غداً مثلاً .

أجابه ميدلباى فى لهجة جافة :

– حتى فاراداى وباستور ماكانا ليصلا إلى نتيجة مافى مثل هذه المدة القصيرة وأنا لم أبلغ مرتبتهما بعد .

هم بلاك أن يقول شيئاً ولكنه آثر الصمت لأنه كان يعرف أن البروفيسور يمقت الأطراء والمداهنة على عكس غيره من الناس الذين لايعملون إلا تحت دافع الأطراء المستمر .. ولهذا أكتفى بأن حيا البروفيسور وأنصرف .

أما ميدلباى فقد جلس على مقعده الكبير الذى يصر كلما تحرك وبدأ يقرأ التقرير الطبى .. وبعد أن فرغ من ذلك أخذ ورقة وقلماً وانهمك فى كتابة بعض العمليات الحسابية مستخدماً مسطرة حاسبة من لحظة لأخرى

وأخذ يدرس النتائج التى وصل إليها وقد ارتفع حاجباه الكثيفان .. كانت هناك نقطة تدعو إلى الأستغراب وهى أن السهم أطلق بواسطة قوس ضعيف ومع ذلك فقد كانت الرمية نحو خمسة عشر رطلاً تقريباً .. وإلا ماتمكن رامى السهم من أستعادة الحبل فى الوقت المناسب .. ولكن استناداً إلى التقرير الطبى فإن رأس السهم الغليظة حطمت العمود الفقرى ومعنى هذا أن السهم اندفع بقوة كبيرة لاتقل عن خمسة عشر رطلاً .. وتساءل عن طول الحبل .. أية قوة تلك التى قطعته ؟ وأعاد قراءة التقرير الطبى من جديد ولم تلبث عيناه أن ومضتا بوميض السرور عندما رأى أن المفتش أهتم بالحبل وفحصه ورأى أنه انقطع تحت ضغط قوة ثلاثة أرطال فقط .. كان من الواضح أن الحبل لم يستخدم كوتر للقوس .

أدرك البروفيسور ماذا يجب أن يفعل الآن .. بدأ بأن قرأ فى أهتمام كبير النبذة المكتوبة عن رمى السهام فى الطبعة الحادية عشرة من دائرة المعارف وعرف بذلك الكثير عن الأسلحة القديمة ولكنه لم يهتد إلى شئ ما يمكن أن يساعده فى قضية بلاك .. سيرى غداً ماذا يستطيع أن يجده فى مكتبة الجامعة عن السهام ، ولكن كان لايزال أمامه عمل آخر فى أثناء ذلك .

اتصل بأقرب تاجر للأدوات الرياضية وطلب منه أن يرسل إليه بعض أسلحة الصيد ، وعندما اتته راح يفحصها بكل دقة ثم شرع فى القيام ببعض التجارب مستخدماً جهازاً لولبياً مرتداً كان قد صنعه بنفسه فى معمله فأطلق سهماً فى كتلة كبيرة من الشمع توازى كثافتها كثافة الجسم

البشرى واثبتت تجاربه تقديراته ، فلم يكن فى الأستطاعة أطلاق القوس بقوة أكثر من خمسة عشر رطلاً .

وجلس البروفيسور ممسكاً السهم بيده وفجأة توتر جسده لفرط الأنفعال فنهض واقفاً وأمسك السهم من منتصفه وأطلقه نحو كتلة الشمع بكل قواه .. وشق السهم الهواء واندفع نحو كتلة الشمع ولكنه لم يلبث أن وقع على الأرض .. وقام بهذه التجربة أكثر من مرة وهو واقف على مسافة ثلاثين متراً وأخيراً تنهد وألقى السهم فوق المائدة .. فشلت هذه التجربة أيضاً كان من الواضح تماماً أنه لايمكن أطلاق سهم بقوة كافية لقتل رجل على بعد ثلاثين قدماً هذا علاوة على تصويب الهدف الذى لم يكن فى الأمكان أجادته تماماً .. ولم يكن فى مقدوره أن يفعل شيئاً آخر فآثر أن ينتظر حتى الغد وزودته مكتبة الجامعة بما ينقصه فقد وجد فى كتاب قديم صدر منذ نحو ستين سنة سر جريمة أرتكبت حديثاً .. وكان أسم الكتاب القوس والنشاب وقد أعيد طبعه بعد صدور طبعته الأولى بأكثر من ستين سنة عن نسخة قديمة مهملة .. وكان السؤال الوحيد هو ماذا يفعل الآن .

لقد أنجلى السر والغموض نظرياً ولكن كان من المتعذر أدانة القاتل ، ومع ذلك وعلى الرغم من أن البروفيسور كان محباً للقانون فإنه لم يكن واثقاً من أنه يريد أدانته .

وفى هذه الظروف قرر استدعاء المشتبه فى أمره وكان لايزال فى مسكنه تحت المراقبة طليقاً غير مسجون .. فلم يكن فى وسع رجال البوليس عمل أى شئ قبل العثور على القوس المفقود .

وكان كول رجلاً ضخماً قصير القامة يدل وجهه على أنه كان رجلاً بشوشاً سعيداً قبل أن تقع له هذه الحادثة وقد أختفت بشاشته فى ثنايا الغضون والتجعدات التى حول عينيه اللتين تنطقان بالمرارة .

وكان يمشى بمشقة كبيرة وهو بادى القلق .. وكان ذراعه الأيمن فى كم قميصه السميك قوى العضلات كما لو أن كل قوته قد تركزت فيه .

كان كتوماً قليل الكلام كما قال بلاك بحيث اضطر ميدلباى إلى بدء الحديث فذكر له السبب فى استدعائه ثم قال له فى رفق :

– وبذلك ترى أن المفتش طلب معونتى فإن براعتك قد حيرته تماماً .. لم ينطق كول ولكن عينيه الباردتين برودة الثلج خفقتا خفقة وجيزة وقال البروفيسور فى صوت رقيق .

– أن بلاك يظن أن هناك قوساً أختفى ولكننا نعلم أن الأمر غير ذلك .

قال كول فى صوت لاهث بدا كصوت الحيوان :

– حقاً ؟

– أستطيع أن أفهم رغبتك فى قتل الرجل ، ولكن أليس من الجائز أن الفرامل تعطلت ؟

– أبداً .. فقد كنت موجوداً هناك .. لم يحاول استخدام فرامله أبداً .. إنه اصطدم بى وكان مخموراً بحيث لم يفكر فى استخدامها .

وكان صوت كول يتهدج بالغضب .

– ولهذا كرهته وأرادت أن تنتقم منه طبعاً ؟

– لم أقل هذا .

– إنك لم تنطق بشئ حقاً ولكنك أقدمت .. وقتلته .

– وكيف ذلك ؟ أنه مات بسهم ولم يكن معى أى قوس .

وعليه فلابد أن أحداً غيرى أطلق عليه ذلك السهم .. قد تكون فتاته هى التى فعلت ذلك .

كان فى عينى كول الزرقاوين ومضة محمومة كما لو أنه أحس برغبة ملحة فى أن يتكلم ولومرة .

وقال ميدلباى :

– إننى قمت بتجربة فى رمى السهام منذ سنين طويلة فى سنة ١٨٨٠ أو نحو ذلك كانت هذه الرياضة شائعة .. لاتحاول أن تتظاهر بالدهشة فإنك تعرف عن هذا الأمر بقدر ماأعرف ولعلك عرفت ذلك منذ سنوات وإذ رأيت نفسك تتقد غضباً وبذراع واحدة مرنت نفسك على الرماية حتى اتقنتها وبالتمرين يمكن للرجل أن يطلق سهماً خفيفاً بضعة مئات من الأقدام .

قال كول فى لهجة جافة :

– حاول أن تجرب ذلك .

– أوه .. إننى لن أستطيع وأعرف ذلك .. وقلائل جداً هم الذين يستطيعون ولكنك كنت خبيراً فى هذا النوع من الرماية ثم أنك تمرنت عليه وفوق ذلك كان لديك الدافع ، ولكن الشئ الوحيد الذى لم أستطع فهمه هو قطعة الحبل .

اختلجت عينا كول وأدرك ميدلباى أنه أصاب الهدف واستطرد :

– أن كتاب رماية السهام القديم قدم لى الدليل الحاسم .

فقد كان الأولون يستخدمون طريقة بارعة فى رمى السهام ، فلم يكن الواحد منهم بحاجة إلى قوس بل كان يكفيه أن يربط حبلاً فى طرف السهم ويمسك بطرف الحبل الآخر فى يده بطريقة خاصة بحيث يصبح فى يده كالمقلاع ويحصل بهذه الطريقة على القوة الدافعة الضرورية .. وأنت لم تكن تريد سهماً خفيفاً لبضعة مئات من الأقدام وإنما أردت أن تطلق سهماً له رأس غليظة لمسافة ثلاثين قدماً بما يكفى من قوة لكى يقتل .. وكان أمامك شهور طويلة لكى تتمرن بينما كان بوردن فى السجن والسائق الذى أخذك إلى المكان لكى تعرف عادات بوردن كان هو الآخر الدليل الذى تستند عليه لأثبات براعتك وللتدليل على أنه لم يكن معك أى قوس وإنما مجرد سهم به قطعة من حبل مخبأ تحت جاكتتك .

نظر كول إليه نظرة طويلة باردة ثم غلبته طبيعته فقال فى توكيد بطئ :

– إنك مخطئ .. سل بلاك عن جهاز التسجيل .. كل ماكنت أريده هو الدليل على أن بوردن لم يستخدم فرامله كنت أرجو أن يقول شيئاً ما لفتاته وكنت مستعداً لكى اسجله حتى أتخذه دليلاً عليه .

قال ميدلباى فى دهشة :

– وهل كان فى الاستطاعة محاكمته ثانية ؟ إننى أشك فى ذلك وأنا واثق أن هذه لم تكن نيتك .

قال كول

هناك مثل سكوتلندى قديم يقول " هم يقولون ماذا يقولون؟ . دعهم يقولون

وهذه نظرية جميلة ولكن ، هل يكون لها قوة فعالة أمام المحكمة ؟ هذا شئ شديد الصعوبة إننى أبدى نظرية لاأكثر فأنا لم أتمرن أطلاقاً لكى أطلق سهماً لمسافة ثلاثين قدماً لكى يشق العمود الفقرى لذلك الرجل .

أن هيئة المحلفين ستريد أن ترى هذه التجربة ، ولا أظن أن هناك أحداً فى العالم يستطيع أن يقوم بها .. إننى خبير فى رمى السهام وأنا واثق مما أقول لك .

قال البروفيسور فى حدة رجل واحد يستطيع أن يفعل ذلك .

ولأول مرة ابتسم كول ابتسامة بغيضة وقال :

- وهل يكشف ذلك للنائب العام ؟

نظر ميدلباى إليه فى شئ من الرثاء والأسف وقال فى صوت منخفض :

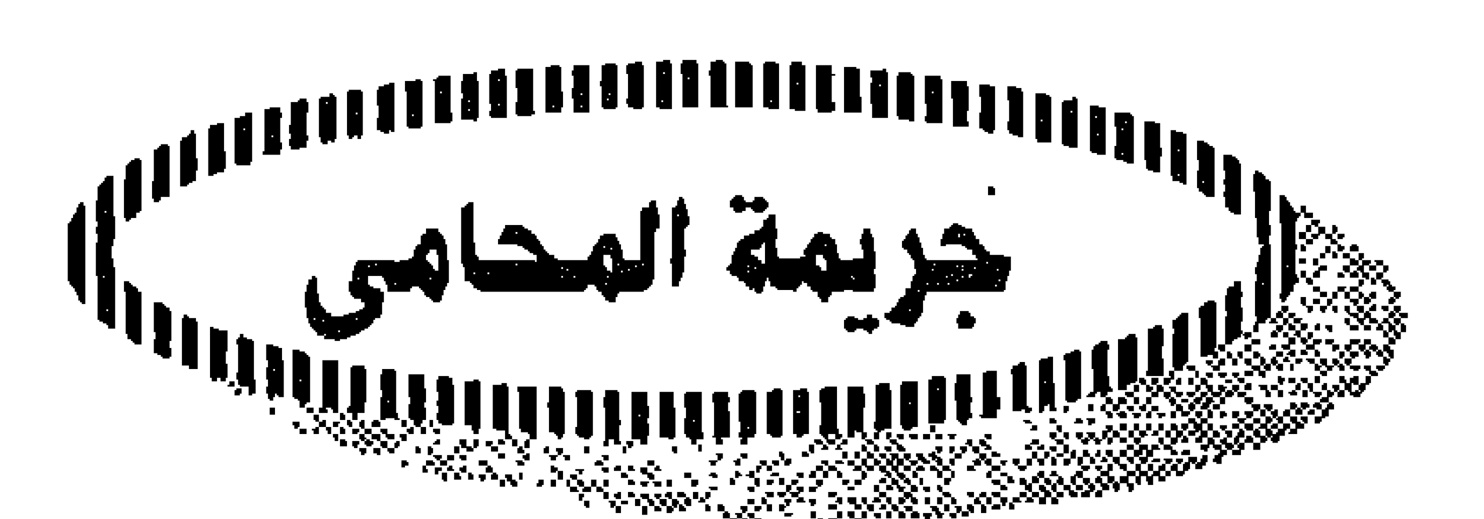
- لا أظن ذلك .

وانتقلت عيناه الرماديتان إلى الصورة الموضوعة فوق الموقد .. صورة لأمرأة شابة تنطق عيناها بالسعادة وطفلة سمراء وقال يحدث نفسه :

- من الجائز أننى إذا فقدتهما .. حسناً .

وقال فى رفق وفى صوت مسموع

- طابت ليلتك يامستر كول وانحنى القاتل أمامه فى صمت



قال الدكتور ماتيوز :

– " مايهزمهم دائماً فى النهاية هو مشكلة التخلص من الجثة ولكن أنت تعرف ذلك طبعاً بمقدار معرفتي أنا "

قال سليد :

– نعم .. وهو فى الحقيقة أمضى أياماً طوالاً يفكر فى موضوع الحديث الذى ظنه الدكتور ماتيوز مصادفة

وتابع ماتيوز كلامه فى الموضوع الذى قاده إليه سليد بلباقة

– الواقع أن الأمر صعب إلى حد يجعلنى أتساءل لماذا يكون أى شخص من الغباء بحيث يرتكب جريمة قتل .

وفكر سليد :

– كل الأمور .

حسنة بالنسبة إليك .. فأنت تجهل المصاعب التى تعترض المرء أحياناً

وتابع الدكتور ماتيوز

- نعم الجثة هى مفتاح الجريمة دائماً .. فإذا أستطاع المرء التخلص من الجثة نهائياً كان أكثر أماناً ، لا يمكنك أجراء محاكمة لجريمة قتل إذا لم يثبت وجود ضحية فيجب أن تبين الجثة ، أو الجسم الذى وقعت عليه الجريمة بحسب تعبيركم أنتم المحامين ولا يمكن الشرطة أن تنال من المجرم فى غياب الجثة مهما قويت الشكوك حوله ، وفى وسع أحدنا تأليف قصة فى هذا الموضوع ياسليد لو كان كاتباً .

قال سليد :

- والله إنك على حق .

وضحك بخشونة .. وما كادت الكلمات تخرج من فمه حتى ندم على ماقاله .. فهو خشى أن يعكس تعبيره المتعة التى وفرها له هذا الكلام المطمئن .. فلن تكتب قصة أبداً عن مقتل الشاب سبالدنج ، ذلك المغرور الوقح .

قال ماتيوز الذى لم يلاحظ أى أمر غير عادى فى تصرفات صديقة :

- حسناً ، كان بيننا حديث رهيب ، أليس كذلك ؟ ويبدو أننى تكلمت معظم الوقت .. هذه نتيجة عشائك الممتاز .. أما الآن فمن الأفضل لى أن أعود إلى البيت لأن الطقس ينذر بعاصفة .

رافق سليد صديقه ماتيوز إلى سيارته وسط انهيار المطر وعصف الريح وكان سليد سعيداً .. فلن يكون هناك أحد فى الطرقات الفرعية أو على الشاطئ .

وعندما عاد إلى غرفة الرسم نظر إلى ساعة الحائط .. أمامه ساعة كاملة

يمضيها في التأكد من صحة جميع خططه .. أنه يستطيع التفكير في هذه الخطط بكل برودة فالمحامي سبالدنج يملك مؤسسة قانونية تتعاون مع مؤسسته .. وهو شاب فضولي بغيض ، كما أنه الشخص الوحيد الذي يكاد يكتشف أمر الودائع المالية التي " استعارها " سليد ثم خسرها في إحدى المضاربات التجارية .. وكلمة منه الآن قد ترسل سليد إلى السجن .

رفع سليد نظره إلى جداول المد والجزر .. نعم ، هذا ملائم تماماً .. ومد الربيع ! ستكون المياه هذه الليلة ضحلة إلى مسافة بعيدة جداً عن الرمال .. ولحسن الحظ أيضاً أن الجزر سيحدث قرابة الواحدة والنصف صباحاً ، أي في أنسب الأوقات وسيكون سبالدنج في طريق عودته ككل ليلة أربعاء في قطار الساعة الثانية عشرة والنصف بعد قضائه يوماً في مكتبه الفرعي على بعد ٩٥ كيلو متراً عن المدينة .

وبدا أن عقارب الساعة تتحرك بسرعة .. وقبعت الأثقال الحديد والسلسلة الضخمة في المقعد الخلفي للسيارة .. وتناول سليد من مكتبته أداة غريبة : حبلا قوياً طوله ٤٥ سنتيمتراً ربطت إلى طرفية قطعة خشب طولها ١٥ سنتيمتراً فأصبح في شكل حلقة .. ووضع سليد الأداة في جيبه وخرج .

وصفعت الريح القارسة وجهه .. وأرجع السيارة إلى خارج المرأب وقادها بحذر إلى محطة السكة الحديد .. ثم انعطف في طريق فرعي خلف المحطة وأوقف سيارته ومقدمها في أتجاه الطريق الرئيسية .. ثم أطفأ المصابيح الأمامية وجلس ينتظر .

رأى سليد أضواء القطار تقترب ، لكنها كانت ليلة مجنونة منعته من سماع صفيره ، وماكاد القطار يغادر المحطة حتى بدأت أنوارها تنطفئ

واحداً تلو الآخر ، وبدأ الحمال يستعد للذهاب إلى منزله ثم سمعت أذناً سليد المشدودتان وقع أقدام .. كان سبالدنج يمشى بخطى واسعة ورأسه منحن اتقاء للعاصفة ، فلم يلاحظ السيارة فى الطريق عندما مر بها .. وعد سليد إلى المئتين ثم أشعل أنوار سيارته وأدار المحرك وأنطلق خلفه .. ثم رآه فأكمل السير فى محاذاته .

سأله وهو يجاهد لكى تأتى نبرته طبيعية :

– أليست سبالدنج يارجل ؟ من المستحسن أن أنقلك معى .

قال سبالدنج :

– شكراً جزيلاً ، فالسير ليس شائقاً فى ليلة كهذه .

وصعد إلى السيارة وأقفل الباب .. لم يرهما أحد !

قال سليد :

– كنت فى طريقى إلى البيت عائداً من منزل السيد كلاى عندما رأيت القطار يدخل المحطة وتذكرت أنها ليلة الأربعاء وأنك ستسير إلى البيت .

– لذا فكرت فى تغيير وجهه سيرى قليلاً فآخذك معى .

– هذا لطف منك .

– فى الحقيقة كنت أريد أن أكلمك فى شأن ودائع آل فير .

– آه صحيح .. لقد ذكرتك فى الأسبوع الماضى أن عليك تسليم الودائع

– وقلت لك أن ذلك غير مناسب أثناء غياب هاموند فى الخارج .

– لاأدرى علاقة هاموند بالموضوع .. لماذا لا تستطيع تسليمها ؟ أن

لايمكننى عمل أى شئ قبل أن تفعل . وعلى واجبات تجاه ربائنى

أوقف سليد السيارة وقال .

– أسمع ياسبالدنج .. أنا لم أطلب منك معروفاً قبل اليوم ، لكنى أسألك الآن أن تمهلنى قليلاً ، ثلاثة أشهر فقط حتى أقف على قدمى .

كان أمل سليد فى تحقيق طلبه ضعيفاً إلى حد جعله يسحب يده من جيبه ممسكاً بقطعة الخشب والحبل يتدلى منها .. ورفع يده فوق مسند مقعد سبالدنج وكرر كلامه

– لا أريد سوى ثلاثة أشهر .

وتصلب سبالدنجَ وقال :

– لا أظن من المجدى الأستمرار فى هذا النقاش .. ربما كان أفضل لى السير إلى بيتى من هنا .

ومد يده إلى مقبض الباب .. وإذ ذاك أسقط سليد الحبل فوق رأسه بحركة سريعة من رسغه الناحل ذى العظام الناتئة والقوى كالفولاذ فى لحظة الغضب تلك .. وشد الحبل حول عنق سبالدنج ، وأستدار فى مقعده وأمسك قطعة الخشب بكلتا يديه وهو يلويها بجنون .. وغاب سبالدنج عن الوعى قبل أن يفارق الحياة بوقت طويل .

بقى أمر التخلص من الجثة .. وسحب سليد ركبتى الرجل الميت إلى الأمام حتى أصبحت الجثة ممددة على المقعد فى محاذاة جانب السيارة ، وأدار المحرك وانطلق بسرعة فى الليلة الهوجاء .. لقد حان الجزر وأصبحت الرمال على بعد ١٥ كيلو متراً .. أنه يعرف الطريق جيداً ، فهو قاد سيارته

عليها تكراراً لكي يتذكرها تماماً .. وكانت الريح القاسية تعصف تحت السماء السوداء وهو يتابع سيره .

وسمع هدير الأمواج المتكسرة بعيداً ونزل من السيارة وسار حولها إلى الباب الآخر وعندما فتحه سقط الميت بين ساعديه .

رفعه سليد وهو يتلمس مؤخر السيارة باحثاً عن السلسلة والأثقال الحديد .. وحشا جيوب الميت بالأثقال ولف السلسلة حول الجثة .. لن يعثر عليها أبداً مع هذا المقدار من الحديد الذى سيشدها إلى أسفل عندما يأتى مَد الربيع .

حاول سليد رفع الجثة ليحملها فوق الرمال .. وترنح وجاهد لكنه لم يملك القوة الكافية ، فهو ذو بنية ناحلة وقد أجتاز سن الشباب ، وكان العرق يتصبب على جبينه فى الريح الباردة كالجليد .. ترى هل تخفق كل خططه بسبب ضعفه الجسدى ؟ ولكنه أجبر جسمه الواهن أطاعة أوامر دماغه الصارمة .

استدار وهو لا يزال يرفع الرجل الميت ووضع الحمل على كتفيه وهو ينحنى ثم جذب الساعدين حول عنقه ووضع الساقين حول خصره بنفضه واحدة .. وانحنى حتى أنطوى فأمكنه حمل الوزن الثقيل على ظهره وكتفيه .

وأنطلق مترنحاً على المنحدر الصغير نحو هدير الأمواج .. كانت الرمال ناعمة تحت قدميه .. وأصبحت المياة على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات والريح القاسية تزعق حوله طوال الطريق لذلك أختار سليد هذا المكان ! فلن يقصده أحد أثناء الجزر قبل أنقضاء أشهر عدة .

أكمل سليد السير وهو يترنح من دون أن يتوقف ليرتاح .. كان الوقت يكفيه للوصول إلى حافة المياة قبل أن يأتى المد .

وأخيراً رأى خط زبد الظلام .. وأبعد منه كانت الأمواج تتكسر فى ضجيج مرعب .

ثبت سليد نفسه وهو يضع قدميه فى الماء مخوضاً بعيداً لكى يستطيع ترك الجثة فى مياة عميقة .. وبلغت المياة ركبتيه ثم وركيه ثم خصره .

ومال سليد على جهة واحدة لدحرجة الجثة من على ظهره ، فلم تتحرك .. وشد ساعديها فلم يستطع فكهما .. وهز نفسه مهتاجاً وحاول نزع الساقين عن خصره ، لكنه لم يتمكن من كسر طوقهما .. وجعل كالمسعور ينفض جسمه فى محاولة يائسة للتخلص من الحمل .. لكن الجثة علقت فى مكانها كأنها حية .

واقتربت موجة متكسرة وتناثر الماء حوله .. لقد بدأ المد ، وهو لابد آت كجواد سباق على تلك الرمال .. وحاول مرة أخرى نزع العبء .. إذ لازمته الجثة فقد برودة أعصابه وحاول أن يشق طريقه خارج البحر .. لكن وزن الجثة المثقلة بالحديد شده إلى أسفل .

وجاهد للنهوض فى البحر المظلم المخطط بالزبد .. وترنح بضع خطوات ثم وقع ولم ينهض .. وأبت عضلات سبالدنج الأسترخاء بينما المجرم يغرق وبقيت يداه تلفان عنق قاتله فى قبضة خائفة .



★ تمت ★


سلسلة
روائع القصص البوليسية
هتشوقك
اليافوتة
اليد المقطوعة
الميت الحى
مسرح العرائس
ذو الوجهين
رصاصة فى الظلام
السفاح
المقبرة
الأنتحار
اليوم المشئوم
روائع القصص البوليسية
ذو الوجهين
رصاصة فى الظلام
الانتحار
الإسكندرية ، ٤٨١٠٨٢٨/ ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
Bibliotheca Alexandrina
0554202